رؤية نقدية للفكر العقلاني في ضوء التربية الإسلامية

إعداد:

د. بدريه خلف حمدان العنزي

الأستاذ المساعد في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كلية التربية–قسم أصول التربية

مسار التربية الإسلامية

مستخلص البحث

موضوع البحث: رؤية نقدية للفكر العقلاني في ضوء التربية الإسلامية.

هدف الدراسة: إبراز دور العزلة والفكر الفلسفي وتحديد المدرسة الفكرية التي ينتمي لها المعري، وإبراز كيف كان العصر العباسي محطة مهمة في تطور الفكر عموماً، وإبراز جانب من فكره التربوي الإصلاحي لبعض جوانب الحياة، وتحديد المدرسة الفكرية التي ينتمي إليها أبو العلاء المعري، ونقدها وفق الرؤية التربوية الإسلامية.

المقدمة: وتشمل مشكلة البحث، وأهدافه، وأهمية الموضوع، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، ومصادره، وأقسامه، وتخطيطه.

الفصل الأول: حياة أبي العلاء المعري. وفيه:

المبحث الأول: اسمه وكنيته ولقبه ونسبه.

المبحث الثاني: منزلته الشعرية.

المبحث الثالث: رحلاته وعزلته ودينه وآثاره وتلاميذه.

المبحث الرابع: شيخوخته، وصيته، ووفاته.

الفصل الثاني: آراؤه الفلسفية والتربوية ومدرسته الفكرية، وفيه:

المبحث الأول: قلق الحياة في أدب أبي العلاء المعري.

المبحث الثاني: الآراء الفلسفية عند أبي العلاء المعري.

المبحث الثالث: المدرسة الفكرية التي ينتمي لها أبو العلاء المعري ونقدها وفق الرؤية الإسلامية.

الخاتمة: والمراجع.

Abstract

Research topic: A critical view of rational thought in the light of Islamic education.

The purpose of the study is to highlight the role of isolation and philosophical thought and identify the school of thought to which Al-Ma'ri belongs. It highlights how the Abbasid era was an important stage in the development of thought in general, and highlighting some of its educational reformist ideas for some aspects of life. Islamic Educational Vision.

Introduction: The problem of research, its objectives, the importance of the subject, previous studies, research methodology, sources, sections, and planning.

Chapter One: The Life of Abu Ala Al Ma'ari. And in it:

The first topic: is his name, his nickname, his surname and his name.

The second subject: His poetic status.

The third topic: his journeys, isolation, religion, traces and disciples.

The fourth topic: his old age, his will, and his death.

Chapter II: His philosophical and educational views and his intellectual school, in which:

The first topic: concern of life in the literature of Abu al-Ala Maari.

The second topic: Philosophical views of Abu al-Ala al-Ma'ari.

The third topic: the intellectual school to which Abu al-'Ala al-Ma'arri belongs and her criticism according to the Islamic vision.

Conclusion: References.

الفصل الأول

مقدّمة البحث:

تحرص الأمم المتقدمة على البحث في مكتسباتها الفكرية التي قدمها العلماء والمفكرون عبر تاريخ حضارتهم، حيث إنه من أهم ما تسعى إليه الاهتمام بإحياء تراثها، وأن تجعل عثورها على آثار مفكريها ونتاج شعرائها وأدباءها، والتوفر على تحقيقه ونشره من أنصع الآيات على تقدمها ورقيها.

وموضوع هذا البحث هو خطوة في هذا الميدان ،حيث ستتناول فيه الباحثة شخصية فكرية لها نتاجها الأدبي والفكري والذي يتوقع أنه يحتوي على جوانب تربوية لها قيمتها، مع رؤية إسلامية نقدية لمحتوى هذا النتاج الفكري وهو من كنوز الأدب العربي، حيث ستناقش الباحثة" الفكر التربوي عند أبي العلاء المعري وفق الرؤية الإسلامية التربوية، نشأته وحياته وآراؤه الفلسفية والتربوية ، وكان الباعث الأساسي في اختيار الموضوع، هو الرغبة في التعرف على الآراء الفكرية والفلسفية عند أبي العلاء المعري، الذي لم يكن يعرف عنه في الغالب سوى أنه شاعر عاش في العصر العباسي واتهم بالكفر والزندقة وغيرها بسبب ما نظمه من شعر ،وإلقاء الضوء على ظروف الحياة الصعبة التي أحاطت بأبي العلاء المعري و جعلت نفسه طامحة إلى المعالي ظناً أن مواهبه تعوضه عن عجزه حيث يقول :

أريدُ عَليّاتِ المراتب ضِلةً وخرطُ قتاد الليل دون عُليانِ

وقد بقي قلق العمى والعجز مصاحبة له، وبقيتا عقبتين في طريقه فاستبدل العصا بالسيف والرمح يتحسس بها الطريق كي لا يصطدم بالبشر والحجر يقول:

عصاً في يد الأعمى يرومُ بها الهدى أَبرُّ له من كلَّ خِدْنٍ وصاحب

وإيمانه بالعقل المجرد، أخرجا منه شخصية متذبذبة الأحوال، جعلاه يتأرجح في آرائه بين إثبات وإنكار؛ وتبين أنه كان إنساناً مؤمناً بالله وحده الواحد الأحد، مقراً بوحدانيته وقدرته، وراجياً عفوه ومغفرته حين تقوم الساعة.

أصيب أبو العلاء المعري بالجدري وهو لم يتجاوز الرابعة من عمره فكف بصره، ولم تمنعه عاهته عن الدرس فدرس العلوم من فقه ونحو وأدب، وجعل يتابع بنهم كتب الأدب القديمة من أدبية وتاريخية، وقال الشعر وعمره إحدى عشرة سنة. ناقش المعري في شعره الجانب الديني والاجتماعي والسياسي لحقبة زمانية ومكانية في التاريخ العربي والإسلامي، وترك المعري تراثا في الشعر والأدب والفلسفة.

وأبو العلاء المعري شاعر مفكر سار على خط فكري وفلسفي وحياتي لم يتبدل أو يتغير حتى في التطبيق العملي وفي لون المادة الأدبية التي قدمها، ولقد أعطى المعري من كتبه وأشعاره للساحة الفكرية والأدبية الكثير، فقد آمن بفلسفة خاصة، وعبر عنها في قصائده، والتزم بها في حياته. واتخذ المعري ظاهرة الشك والقلق لما مر به من ظروف صحية ونفسية واجتماعية مسلكا يوصله إلى الحقيقة والتي صنعت منه مفكرا وفيلسوفا

وناقدا لما يدور حوله من الحياة من خلال أشعاره ، وذلك من خلال منهجه والذي جمع فيه بين التقليد والتجديد، فأكثر قصائد ديوان (سقط الزند) تنهج النهج التقليدي للقصيدة العربية، ونجده جاريا على سنن الأقدمين من الوقوف على الأطلال البدوية الجزلة، و المعاني الفخمة، واتخذ من الشعر العربي القديم مصدرا يستمد منه صوره، فالتراث الشعري القديم من أهم مصادر الصورة عنده، ولم يحدث المعري أوزانا جديدة في الشعر، وآثر في الأغلب شعراء العربية من سابقيه من أوزان، ودرج على الطريقة التي درج عليها الشعراء الجاهليون فنظم في الموضوعات التقليدية، ومال المعري في شعره في ديوان (لزوم ما لا يلزم) إلى استخدام الألفاظ البدوية فحرصه على بداوة اللفظ التي تجاوزت (سقط الزند) إلى (اللزوميات)، والغالب على أسلوب المعري في ديوانه (لزوم ما لا يلزم) المتانة، وقوة الأسر.

وقد قامت الباحثة في هذا البحث بما تستطيع من جهد بذكر كل ما لمحته في شعر أبي العلاء المعري من فكره التربوي والإفادة منه في هذا المجال ومحاولة نقده من خلال رؤية تربوية إسلامية، ووقفت عند جزئياته ودقائقه التي رأت أن فيها نفعا لهذا البحث وخدمة لخطته التي جاءت في ثلاثة فصول تحوي سبعة مباحث وخاتمة.

أما الفصل الأول، فتحدثت فيه الباحثة عن مشكلة البحث، وأهدافه، وأهمية الموضوع، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، ومصادره، وأقسامه، وتخطيطه.

وأما الفصل الثاني، فقد تحدثت فيه عن حياة أبي العلاء المعري، وقد اشتمل على ثلاثة مباحث: ١-اسمه وكنيته ولقبه ٢-ولادته ونشأته وزهده ٣-رحلاته وعزلته ودينه وآثاره وتلاميذه.

وأما الفصل الثالث، فتحدثت فيه الباحثة عن "آرائه الفلسفية والتربوية ومدرسته الفكرية " وقد اشتملت مباحثه الثلاثة على: ١-قلق الحياة في أدب أبي العلاء المعري. ٢-ظاهر التقليد في شعر المعري، الآراء الفلسفية عند أبي العلاء المعري. ٣-المدرسة الفكرية التي ينتمي لها أبو العلاء المعري ونقدها وفق الرؤية التربوية الإسلامية.

أولا: مشكلة البحث:

الناظر في حياة أبي العلاء المعري يتبين له انفراده في منهج مختلف في التفكير والذي كان محط نقد وتحليل لما تمتع به من آراء فلسفية حتى صار مدرسة فكرية تعرضت للنقد تارة وللنقض تارة أخرى، مرورا بالنقاد والشعراء والرجال، والذين رموه بالزندقة والإلحاد تارة، والإيمان والهدى تارة أخرى، إلا أن هناك من أشار أن هذه الآراء المتناقضة لم تعدُ أن تكون جدلا فلسفيا للوصول إلى الحقيقة التي ينشدها، وقد دافع عن نفسه لما رمي بتلك الاتهامات في كتابه "زجر النابح " إلا أن الباحثة من خلال ما تتبعته من قصائده لا تخلو من إشكالات في فكره العقدي، والضبابية التي يعاني منها .

ومع ذلك يعد أبو العلاء المعري آخر عمالقة الشعر القديم فقد ارتفع بشعره إلى مستوى من الجزالة عن طريق المزاوجة النادرة بين الفن والفلسفة، فكان شعره طريفا شكلا ومحتوى، ولعل تميزه من – بين أدباء العربية وعدد من المحدثين – بالنزعة التأملية، وموقفه من الحياة والناس إلى جانب قلة اهتمام القدامى والمحدثين بأدبه بالقياس إلى ما أولوه شعراء آخرين كأبي تمام والبحتري، والمتنبي هذا الذي دفع الباحثة إلى الوقوف عند أدبه بما يتضمنه من أفكار تربوية وآراء جديدة مستندة في ذلك على رؤية تربوية إسلامية. فقد حاول المعري نقد أكثر مظاهر الحياة في عصره، واتسمت هذه الناحية عنده بالجرأة الفكرية، والاعتداد الزائد بالعقل، وعلى يده خرج الشعر من دائرته الضيقة دائرة العبث والفردية والقبلية والقدح والمدح والارتزاق الرخيص، ليدخل إلى دائرة أوسع، مداها الكون والإنسان حيث يتم تسجيل المواقف من القيم والحقائق وكشف الزيف فيها بقصد التغيير. هذا فضلا عن نقد أسس الثقافة العربية نقدا يصل إلى الدعوة إلى مراجعة العقل العربي، فمن شعره في اللزوميات:

لقد صدئت أفهام قوم فهل لها صقال ويحتاج الحسام إلى الصقل

فلم يعد الشعر في مفهوم أبي العلاء المعري إذن وسيلة للعيش الرخيص أو الكذب المغلف أو الشتم، بل أصبح أكثر نزوعا للتأمل، والتجديد في المضامين.

لذلك رأت الباحثة اختياره موضوعا لهذا البحث، كون مثل هذه المضامين قد تثري التربية في عدد من جوانبها، ومركزة في ذلك على الجوانب التربوية في فكره وإخضاعها للرؤية التربوية الإسلامية كمعيار لنقد ما قد يرد عليها من نقد في مجال الفكر التربوي.

ثانيا: أهداف البحث:

إن التغيرات الكثيرة التي مرت بحياة الشاعر المعري من العمى والرحلات والعزلة وقلق الحياة والتحول للمسلك الفلسفي الفكري، شكلت منه شخصية مختلفة، تحتاج معها للوقوف على مدرسته الفكرية التي استقى منها أدبه ونهجه ومن ثم نقد رؤيته الفكرية بما يتوافق والرؤية الإسلامية وما في هذا الفكر من مضامين تربوية، ولذلك يهدف هذا البحث إلى:

_ إبراز دور العزلة والفكر الفلسفي والذي دفعه للتعبير عن صلته بالله والذات الإلهية والوجود بأبيات أدت به إلى اتهامه في جوانب عقدية ووجود خلل عنده في هذا الجانب نظرا لأنها تخالف المعهود من ظاهر المعاني؛ وإن كان فعلا لا يعذر بهذا، بينما رأى البعض أنها جدليات فكرية فلسفية يتوصل من خلالها إلى الحقيقة التي ينشدها وهي التوحيد حتى صار الإبداع الأدبي يصدر عن هذه الصلة تلقائيا دون قصد وتعمد وتكلف.

– تحديد المدرسة الفكرية التي ينتمي لها المعري من مؤيدين ومعارضين وترجيح القول فيه بالأدلة، ونقدها وفق الرؤية التربوية الإسلامية.

– إبراز كيف كان العصر العباسي محطة مهمة في تطور الفكر عموماً، فيه عرف انطلاقته الكبرى، ومن خلاله بلغ ذروة عطائه فلسفيا وعلميا وأدبيا. تأثر بالمتنبي في مطلع حياته كما في ديوانه الأول (سقط الزند) وهذا تقليد، ولكن سرعان ما قطع التقاليد الشعرية التي توظف الشعر للتكسب ولطلب الحظوة والمال، ليكرس شعره للتعبير عن تجربته الخاصة وتأملاته ونظرته للحياة والناس والوجود وهذا تجديد كما في ديوانه الثاني (لزوم ما لا يلزم)، وهكذا يكون للعصر تأثير كبير في الفكر.

– إبراز جانب من فكره التربوي الإصلاحي لبعض جوانب الحياة، من حيث جرأة المعري في مهاجمة ما يراه فاسدا، وصرفه الشعر إلى مواضيع إنسانية أخلاقية، وانعدام الهوى بين أقواله وأفعاله وثقافته الواسعة وبعد نظره، وشاعريته المميزة، ثم تحليل ذلك وفق الرؤية التربوية الإسلامية.

–تحديد المدرسة الفكرية التي ينتمي إليها أبو العلاء المعري، ونقدها وفق الرؤية التربوية الإسلامية.

ثالثا: أهمية موضوع البحث:

يمكن تقسيم أهمية هذه الدراسة في جانبين:

أ – أهمية أبي العلاء المعري في تاريخ الشعر والفكر العربي:

١–يمتاز أدب المعري بخصائص عديدة ومتنوعة لاتساع ثقافته وبعد نظره وطول باعه في اللغة، إذ يلاحظ قارئ نتاجه اهتمامه بالناحية اللفظية في شعره ونثره على حد سواء.

٢–ترك أبو العلاء المعري تراثا على مر العصور، وكان له أكبر الأثر في فكر كثير من المفكرين والعلماء والأدباء، ويرتبط هذا ارتباطا مباشرا بالفكر التربوي وما يحتويه من مضامين.

٣–قدم المعري نموذجا للمفكر والأديب والشاعر الذي توافق أفعاله أقواله وتتطابق مع أفكاره ومعتقداته.

٥–يعد المعري شخصية مختلفة في الأدب والفكر العربي شكلت انقلابا على الثقافة السائدة في عصره والتقاليد التي أرساها من سبقوه لذا كان فكره التربوي جدير بالوقوف والتأمل.

٦–كرس المعري شعره للتعبير عن تجربته الخاصة وتأملاته ونظراته في الحياة والناس والوجود، وهي نظرات وتأملات أعلت من قيمة الأدب والفكر من عدة جوانب، إلا أن اعتماده على تحليله العقلي أوقعه في أخطاء في التفكير.

٧–تعود أسبقية نقد العقل والواقع التربوي العربي لأبي العلاء المعري في القرن الخامس الهجري، حيث نقد أسس الثقافة العربية نقدا يصل إلى الدعوة إلى مراجعة الواقع الفكري العربي.

ب – أهميته في الدراسة الحالية:

أولا: لم يدرس الموضوع دراسة مباشرة بهذه الصيغة التي قدمتها الباحثة على الرغم من أنها وجدت حديثا دائما عن القلق والشك والفلسفة في حياة المعري والتي جعلته محل أخذ ورد، بل وتكفير وفسق وخروج عن الملة، وذلك لخروجه عن المألوف في الصياغة والفكر والفلسفة والجدل العقلي، ولكنها أفكار متفرقة في دراسات

أخرى مثل الحيرة والحكمة وغير ذلك من القضايا العامة دون أن تكون دراسات مختصة في نقد مدرسته الفكرية وفق الرؤية التربوية الإسلامية.

ثانيا: تبرز أهمية البحث في تغيير الشعر العربي على يد أبي العلاء المعري على مستوى الأغراض، إذ أصبح مع المعري شعر الحكمة والفلسفة ونقد رجال السياسة والأمراء نقدا بناء غير هجائي، فضلا عن الدعوة إلى العقل بالأسلوب الشعري، بل إن البحث سيبين كيف اعتمد المعري الشعر لينقد الفكر والعقل العربي وما آل إليه من خرافة وأساطير، وهو أمر غير معهود في شعر يسيطر عليه الغزل والمديح والتملق، بل ربما سخرية أبي العلاء من شعراء المديح في (رسالة الغفران) وعدهم شعراء مديح وتملق للحكام بكل هذه الأسباب.

رابعا: الدراسات السابقة:

من خلال الاطلاع الذي قامت به الباحثة على الدراسات السابقة، ذات العلاقة بموضوع الدراسة الحالية، لم تقف على دراسات في مجال التربية تناولت الفكر التربوي عند أبي العلاء المعري ونقده في ضوء التصور الإسلامي، كان منها دراسات قدمت في تخصصات علمية أخرى غير تربوية، كدراسة كريم (١٤٢٣هـ)، بعنوان: شعر المعري من منظور القراءة والتأويل، في جامعة أم القرى، ودراسة أخرى قدمها بوعافية (٢٠٠٨م) بعنوان: الاغتراب في شعر أبي العلاء المعري في جامعة محمد بوضياف بالمسيلة في الجزائر.

وأغلب ما كتب عن أبي العلاء المعري كان كتبا مؤلفة وليس أبحاثا علمية منها:

- رأي في أبي العلاء المعري، أمين الخولي، جماعة الكتاب، القاهرة ،١٣٦٣ هـ.
- الحياة الإنسانية عند أبي العلاء المعري، عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، مصر، ١٩٤٤ م.
- أبو العلاء المعري ناقد المجتمع، زكي المحاسني، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٤٧م.
- فلسفة أبي العلاء مستقاة من شعره، حامد عبد القادر، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة ١٣٦٩ هـ.
- أبو العلاء المعري آراؤه في لزومياته، كمال اليازجي، لجنة التأليف المدرسي، لبنان، ١٩٦٤ م.
- قضايا العصر في أدب أبي العلاء المعري، يسري سلامة، دار المعارف، مصر، ١٩٧١ م.
- الفكر الديني عند أبي العلاء المعري، عطا بكري، مكتبة الحياة، لبنان، ١٩٨٢٠ م.
- الفكر والفن في شعر أبي العلاء المعري، صالح حسن اليظي، ١٩٨١ م.
- شاعرية أب العلاء في نظر القدامي، محمد مصطفى الحاج، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٤م.
- مذاهب أبي العلاء في اللغة وعلومها، محمد طاهر الحمصي، دار الفكر دمشق، ١٤٠٧ هـ.
- المعري ذلك المجهول رحلة في فكره وعالمه النفسي، عبد الله العلايلي، دار الجديد، لبنان، ١٩٩٥ م.
- النزعة الفكرية في اللزوميات، خليل إبراهيم أبو ذياب، الشركة العربية للنشر والتوزيع، مصر، ١٩٩٥م.
- المعمار الفني في اللزوميات، خليل إبراهيم أبو ذياب، ١٩٩٥ م.
- فلسفة الدين والحياة عند أبي العلاء المعري، أحمد على إبراهيم، دار الشؤون الثقافية، ٢٠٠٩ م.

ومن هنا نلحظ أن معظم الكتب والبحوث والدراسات جاءت دفاعا عن أبي العلاء المعري وإثبات أثر الفلسفة في حياته وتراثه وهي كلها بحوث في المضامين ولم تركز على بيان المدرسة الفكرية التي ينتمي إليها ونقد هذه الفكر وفق الرؤية الإسلامية، ومن هنا جاءت أهمية البحث كإضافة إلى جهود من سبق من المؤلفين والباحثين الذين تطرقوا إلى دراسة أبي العلاء المعري.

خامسا: تساؤلات البحث:

جاءت فصول البحث ومباحثة للإجابة على عدة تساؤلات هي في ذاتها لب البحث وأساسه وهي:

١-ما العوامل التي أثرت في تشكيل شخصية المعري؟

٢-ما أثر العزلة والقلق والشك في حياة المعري الفكرية؟

٣-ما الآراء الفلسفية التي تبناها المعري في فكره التربوي؟

٤-ما المدرسة الفكرية التي ينتمي لها أبو العلاء المعري؟

٥- ما أوجه النقد التي وجهت لمدرسة المعري الفكرية وفق الرؤية التربوية الإسلامية؟

ساسا: منهج البحث:

يعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، فهو من ناحية يقدم عملا وصفيا، ومن ناحية أخرى يرمي إلى غاية تحليلية.

قامت فيه الباحثة باستعراض مظاهر القلق والشك في حياة الشاعر، بالإضافة إلى آرائه الفلسفية التي أثرت فيه والتي جعلت منه شخصية فريدة في الفكر والأدب جعلته يجمع في أدبه بين التجديد والتقليد، مثل مظاهر الفخر التي طبع بها المعري ديوانه (سقط الزند)، وكذلك المضامين التي وردت في ديوان (لزوم ما لا يلزم) والتي تتطلب نقلها وعرضها كما هي في البداية والتي عدت من مظاهر التجديد، ثم من خلال التحليل واستعراض الفكر التربوي الذي تبناه المعري نبين مدرسته الفكرية التي ينتمي إليها ونقدها وفق الرؤية التربوية الإسلامية.

سابعا: مصادر البحث:

تقع أشعار أبي العلاء المعري في مجموعتين: الأولى: شعر الصبا والشباب وهي التي سماها (سقط الزند).

والثانية: اللزوميات وهي التي سماها (لزوم ما لا يلزم).

وستعتمد الباحثة هذين الديوانين وتجعلهما مصدرين أساسيين للبحث، وأما عن بقية أشعار المعري فإنها عدمت وفقدت ولم يصل غيرهما يقول طه حسين: " ليس لدينا من شعر أبي العلاء المعري إلا ثلاثة دواوين: أولها: سقط الزند، والمشهور أنه يشتمل على شعره أيام الشباب .... الثاني: الدرعيات، وهو ديوان صغير،

يشتمل على أشعار وصفت فيها الدرع خاصة، وقد طبع بمصر ملحقا بسقط الزند ... الثالث: اللزوميات: وهي أكبر الدواوين الثلاثة ".

ثامنا: أقسام البحث:

المقدمة:

وتشمل مشكلة البحث، وأهدافه، وأهمية الموضوع، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، ومصادره، وأقسامه، وتخطيطه.

الفصل الأول: حياة أبي العلاء المعري.

المبحث الأول اسمه وكنيته ولقبه ونسبه.

المبحث الثاني: منزلته الشعرية.

المبحث الثالث: رحلاته وعزلته ودينه وآثاره وتلاميذه.

المبحث الرابع: شيخوخته، وصيته، ووفاته.

الفصل الثاني: آراؤه الفلسفية والتربوية ومدرسته الفكرية

المبحث الأول: قلق الحياة في أدب أبي العلاء المعري.

المبحث الثاني: الآراء الفلسفية عند أبي العلاء المعري.

المبحث الثالث: المدرسة الفكرية التي ينتمي لها أبو العلاء المعري ونقدها وفق الرؤية الإسلامية.

الخاتمة: والمراجع.

الفصل الثاني: حياة أبي العلاء المعري

المبحث الأول: اسمه وكنيته ولقبه ونسبه

أولا: اسمه: أحمد بن عبد الله بن سليمان: ابن محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان بن داود بن المطهر بن زياد بن ربيعة بن الحارث بن ربيعة بن أنور بن أرقم بن أسحم، وقيل أنور بن أسحم بن النعمان، وهو الساطع بن عدي بن عبد غطفان بن عمرو بن بريخ بن جذيمة بن تيم اللّات، وهو مجتمع تنوخ بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير بن العرنج بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر، وهو هود عليه السلام، أبو العلاء بن أبي محمد التنوخي المعري [١].

يقول المرحوم: أحمد تيمور باشا: (هكذا ساق نسبه ابن خلكان، وهو أصح ما وجد بالمعارضة على ما في كتب الأنساب؛ فإن ما ذكره ياقوت في "إرشاد الأديب" إسقاطاً لبعض الأسماء واضطرابات في ترتيب بعضها، فاعتمدنا على رواية ابن خلكان بعد تصحيح ما حرف منها، فإن خزيمة بن تيم الله جاء في النسخة المطبوعة ببولاق: جذيمة بالجيم والذال المعجمة، وما نص عليه في كتب اللغة والأنساب خزيمة بالخاء والزاي مصغراً، وتيم الله بن أسد هكذا في جميع ما وقفنا عليه من الكتب، وجاء به أبو العلاء في سقط الزند تيم اللات) [٢]

(شاعر وفيلسوف، ولد ومات في معرة النعمان، كان نحيف الجسم، أصيب بالجدري صغيراً فعمي في السنة الرابعة من عمره، وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة، ورحل إلى بغداد سنة ٣٩٨ هـ فأقام بها سنة وسبعة أشهر، وهو من بيت كبير في بلده، ولما مات وقف على قبره ٨٤ شاعراً يرثونه، وكان يلعب بالشطرنج والنرد، وإذا أراد التأليف أملى على كاتبه علي بن عبد الله بن أبي هاشم، وكان يحرم إيلام الحيوان، ولم يأكل اللحم خمساً وأربعين سنة، وكان يلبس خشن الثياب، أما شعره وهو ديوان حكمته وفلسفته، فثلاثة أقسام: (لزوم ما لا يلزم) ويعرف باللزوميات، و (سقط الزند)، و (ضوء السقط) وقد ترجم كثير من شعره إلى غير العربية وأما كتبه فكثيرة وفهرسها في معجم الأدباء، وقال ابن خلكان[٣]: ولكثير من الباحثين تصانيف في آراء

---

(١) **عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم (٦٦٠هـ)**، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج٢/٨٦٣، المحقق: د. سهيل زكار، الناشر: دار الفكر، د ت.

(٢) **أحمد تيمور باشا**، أبو العلاء المعري، نسبة وأخباره، وشعره، ومعتقده، صـ٣، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة، ١٣٥٩هـ-١٩٤٠م.

(٣) **ابن خَلِّكان** (٦٠٨ -٦٨١ هـ = ١٢١١ -١٢٨٢ م) أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكيّ الإربلي، أبو العباس: المؤرخ الحجة، والأدب الماهر، صاحب (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) وهو أشهر كتب التراجم ومن أحسنها

المعري وفلسفته، من تصانيفه كتاب (الأيك والغصون) في الأدب يربو على مائة جزء، (تاج الحرة) في النساء وأخلاقهن وعظاتهن، أربع مائة كراس، و (عبث الوليد) شرح به ونقد ديوان البحتري، و (رسالة الملائكة) صغيرة، و (رسالة الغفران)، و (الفصول والغايات)، و (رسالة الصاهل والشاحج) [١].

ثانيا: كنيته ولقبه ونسبه:

كنيته أبو العلاء [٢]، ولقبه المعري، وكانت (كنيته أبو العلاء بالفتح والمد إلا أن الناس كانوا ينطقون بها مقصورة في عصره، كما قال:

والإلف هان له أمري فقصّرني كما تهون على ذي المنطق الألف

وقد شنع على أبي الحسين النكتي البصري وهو من أصدقاء شيوخه في تسميته إياه محمداً بدل أحمد وأبا العُلىّ موضع أبي العلاء تشنيعاً يشوبه هزءٌ وأطال، وشمر أردانه للجدال والنضال، مع أن الرجل كان يستحق العذر من جهة أن صنيعه هذا كان في الشعر ولم يكن لقيه في الدهر، إلا مرة أو مرتين فقال؛ ووصف شعره بالخلو عن الزحافات والعلل وضرورات الشعر والقافية بأسرها في عدة صفحات.

فكيف استجاز أن يقصر كنية صديقه: أما السمة فغيرها، وأما الكنية فقصرها فإنا لله وإنا إليه راجعون، هذا أمر من أمر الله ليس هو من ضعف الشاعر ولا وهن القائل ولكنه من سوء حظ لمن خوطب والاتفاق الرديء لمن سمى وذكر) [٣].

المبحث الثاني: ولادته ونشأته:

أولا: ولادته:

ثمة اختلاف بين مولده على اختلاف الروايات التي وردت من خلال استقراء الباحثة للمؤلفات التي تكلمت عن أبي العلاء العري من قريب أو من بعيد.

ضبطا وإحكاماً، ولد في إربل (بالقرب من الموصل على شاطئ دجلة الشرقي) وانتقل إلى مصر فأقام فيها مدة، وتولى نيابة قضائها. وسافر إلى دمشق، فولاه الملك الظاهر قضاء الشام. وعزل بعد عشر سنين؛ فعاد إلى مصر فأقام سبع سنين، وردّ إلى قضاء الشام، ثم عزل عنه بعد مدة. وولي التدريس في كثير من مدارس دمشق، وتوفي فيها فدفن في سفح قاسيون، يتصل نسبه بالبرامكة؛ **(خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (١٣٩٦هـ)**، الأعلام، ج١/٢٢٠، الناشر: دار العلم للملايين، ط٥/٢٠٠٢م).

(١) معجم الشعراء العرب، تم جمعه من موقع الموسوعة الشعرية، ج١/٣٠٥، بدون ناشر.

(٢) كناه أبوه بأبي العلاء منذ ولد ، وقد جرى في ذلك على عادة أهل بلده ، "تجديد ذكرى أبي العلاء" لطه حسين .ص١١٠.

(٣) **عبد العزيز الميمني الراجكوتي الأثري الهندي**، أبو العلاء وما إليه، صـ٢٣، منشورات محمد على بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، دار الكتب العلمية-بيروت-ط١/١٣٢٤هـ-٢٠٠٣م.

فمنهم من قال بمولده سنة ٣٦٣هـ ومنهم أحمد تيمور باشا في كتابه المطبوع عام (١٩٤٠م) بالقاهرة، حيث قال(ولد يوم الجمعة عند مغيب الشمس لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة ٣٦٣، وعمي بالجدري أول سنة ٣٦٧، غشي يمنى عينية بياض، وذهبت اليسرة حملة، وكان يقول لا أعرف من الألوان إلا الأحمر، لأنهم ألبسوني حين جدرت ثوبا معصفرا، لا أعقل غير ذلك، وقال في إحدى رسائله إلى داعي الدعاة: (وقد علم الله أن سمعي ثقيل، وبصري عن الإبصار كليل، قضى على وأنا ابن أربع لا أفرق بين البازل والربع) فلا وجه إذا لمن زعم أنه ولد أكمه.

وحكى السلفي عن أبي محمد الإيادي أنه دخل مع عمه على أبي العلاء يزوره، فرآه قاعداً على سجادة لبد وهو شيخ، قال: فدعاني ومسح على رأسي، وكنت صبياً، وكأني أنظر إليه الساعة وإلى عينيه إحداهما بارزة والأخرى غائرة جدا وهو مجدر الوجه نحيف الجسم [١].

ويقول ابن العديم [٢]: (كان مولدُه بمعرّة النعمان في الثامن من شوّال [٣] سنة سبع وتسعين وثلاثمائة، وله ديوان شعرٍ ورسائل حسنة، وتولَّى القضاء بمعرّة النعمان، وخطابتها، والوقوف بها، وكان يخدم عمَّه أبا العلاء، ويعلِّله في مرضه. فقال فيه أبو العلاء [٤]:

وقاضٍ لا ينامُ اللَّيْلَ عَنِّي ... ... وطُولَ نَهَارِهِ بينَ الخُصومِ

يكونُ أبرَّ بِي مِنْ فَرْخِ نَسْرٍ ... ...بوالِدِهِ وألطَفَ من حَمِيم

سأنشُرُ شُكْرهُ في يومِ حَشْرٍ ... ... أجَلْ، وعلى الصِّراط المستقيم [١]

---

(١) **أحمد تيمور باشا**، أبو العلاء المعري، نسبه وأخباره وشعره ومعتقده، صـ١٠، مرجع سابق.

(٢) **ابن العَدِيم** (٥٨٨ –٦٦٠ هـ = ١١٩٢ –١٢٦٢م) عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم: مؤرخ، محدث، من الكتَّاب، ولد بحلب، ورحل إلى دمشق وفلسطين والحجاز والعراق، وتوفي بالقاهرة. من كتبه " بغية الطلب في تاريخ حلب " كبير جدا، اختصره في كتاب آخر سماه " زبدة الحلب في تاريخ حلب " المجلد الأول منه، و " سوق الفاضل " رأيت منه مجلدين في مكتبة عارف حكمت بالمدينة، و " الدراري في الذراري " و "وصف الطيب" رسالة، و " الأخبار المستفادة في ذكر بني جرادة " و " دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري" ما وجد منه، و " التذكرة " أجزاء منها، وله شعر حسن، (**الزركلي**، الأعلام، ج٥/٤٠، مرجع سابق).

(٣) **يقول: عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم (٦٦٠ هـ)**، صاحب كتاب: الإنصاف والتحري في دفع الظلم والتجري، عن أبي العلاء المعري، أن: مولده ورد **(كذا في الأصل ولعلها: «ثمان وخمسمائة» أو «عشر وخمسمائة»؛ لأن والده توفي سنة ٥١٦) أنظر**: هامش ج١/١٦، المصدر: الشاملة الذهبية، د ت.

(٤) **عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم (٦٦٠ هـ)**، الإنصاف والتحري في دفع الظلم والتجري، عن أبي العلاء المعري، ج١/١٦، المصدر: الشاملة الذهبية، د ت.

يعتبر أبو العلاء المعري من المشاهير الذين التبس تاريخ ميلادهم؛ ولذلك تجد المؤرخين ما يختلفون في تعيين مولده.

إلا أنهم قد أجمعوا على وقت الولادة من النهار، فقالوا كان ذلك عند مغيب الشمس وأجمعوا على يوم الولادة من الأسبوع، فقالوا كان ذلك في يوم الجمعة، وأجمعوا على تعيين الشهر من السنة، فقالوا في ربيع الأول؛ غير أنهم اختلفوا في تعيين السنة والتاريخ الشهري [٢]

أما القول الذي أيده ابن العديم على أن أبا العلاء ولد في المعرة عند غروب الشمس من يوم الجمعة لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة ٣٦٣هـ وعلى ذلك المؤرخون اليوم لا يكاد يشذ منهم أحد، وأبو العلاء من مدينة " معرة النعمان " ومعرة النعمان مدينة قديمة مشهورة، من أعمال حمص، بين حلب وحماة، ماؤهم من الآبار، وعندهم الزيتون والتين، ومنها كان أبو العلاء المعري القائل [٣]:

فيا برق ليس الكرخ داري وإنما رماني إليه الدهر منذ ليال

فهل فيك من ماء المعرة قطرة تغيث بها ظمآن ليس بسال

والذي يتضح للباحثة: خلاف ما قاله ابن العديم، فلم تتفق الروايات على نفس اليوم والشهر وإنما تباينت بدليل رواية ابن العديم نفسه التي وردت في كتابه، فعسى أن يكون هذا خطأ في النص الذي نُقل بدليل أن مولده في شهر ربيع الأول هو الأكثر عند العلماء المعتبرين لا سيما ياقوت الحموي في معجم البلدان.

ثانيا: نشأته:

نشأ أبو العلاء في أسرة تشتغل بالعلم والأدب، أبوه عبد الله بن سليمان وينتهي نسبه إلى قضاعة ثم إلى تنوخ؛ أما أمه فمن آل سبيكة [٤].

وبيت أبي العلاء من بني سليمان بن داود بن المطهر، سليل الساطع، ((وهو بيت علم وفضل ورياسة)) وفيهم يقول ابن العديم مؤرخ حلب: ((وأكثر قضاة المعرة وفضلائها وشعرائها وأدباءها من بني سليمان)).

---

(١) ورد كذلك في: **محمد راغب الطباخ الحلبي (١٣٧٠ هـ)**، إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، ج٨٩/٤، تحقيق: محمد كمال، الناشر: دار القلم العربي – حلب، الطبعة الثانية: ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م؛ كما ورد في: **الموسوعة العربية العالمية**، صـ١١.

(٢) كمال اليازجي، أبو العلاء ولزومياته، ص١٧، دار الجيل، بيروت–لبنان، ١٩٦٤م.

(٣) **شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (٦٢٦ هـ)**، معجم البلدان، ج١٥٦/٥، الناشر: دار الفكر – بيروت.

(٤)" تعريف القدماء "، ص٢٩٥ ، عن نكت الهميان للصفدي.

في هذا البيت الكريم الماجد، ولد أبو العلاء، ومن تلك السلالة المعرقة في الفضل والعزة والعلم والأدب تلقى ميراثه. كان عجبا في الذكاء المفرط والحافظة، لا يكاد ينسى شيئا مما يمر بسمعه، وقال الشعر في حداثته.

ولما كبر أبو العلاء، ووصل إلى سن الطلب، أخذ العربية عن قوم من بلده، كبني الكوثر، أو من يجري مجراهم من أصحاب ابن خالويه [1] وطبقته، وقيد اللغة عن أصحاب ابن خالويه أيضا. وطمحت نفسه إلى الاستكثار من ذلك؛ فرحل إلى طرابلس الشام، وكانت بها خزائن الكتب قد وقفها ذو اليسار من أهلها، ثم رحل إلى بغداد سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة، أقام بها سنة وسبعة أشهر، ثم رجع إلى بلده؛ فأقام ولزم منزله إلى أن مات [2].

المبحث الثالث: حياته ورحلاته وعزلته ودينه وآثاره

أولاً: حياته:

لو نظرنا إلى(العوامل البيئية التي أحاطت بتلك الشخصية، وتعهدت تنمية موهبتها، وإنضاج قدرتها ، وبلورة نتاجها وصقله ، فإننا لنجدها في المناخ الثقافي والعلمي والأدبي لمدينة المعرة، فقد تحدث المؤرخون والمترجمون عن بلدة أبي العلاء فقالوا بأنها قد حظيت بنخبة طيبة من الأدباء والعلماء، وأنها من اكثر مناطق العرب مناقباً وحسباً، ومن أعظمها مفاخراً وأدباً، واكثر قضاة المعرة وعلمائها وأدباءها وشعرائها من بني سليمان قوم أبي العلاء، فهو من بيت رياسة وعل ، وأبوه من العلماء، وجده، وأبو جده، وجد جده، كلهم تولوا قضاء المعرة، وأخواله من بني كوثر المذهب ، وهم الشعراء بالشام ، في عصره ، وبنو الحصين القضاة العلماء الأدباء الشعراء ، ومن آله) آل سليمان (فضلاء وعلماء لا يتسع المقام لذكرهم ، وكانت الفتاوى في بيتهم على المذهب الشافعي اكثر من مئتي سنة ، وكان لهذا الميراث العلمي أثره في تربية المعري ، فقد استطاعت أسرته أن تهيئ له قسطاً وافراً من الثقافة والمعرفة ، ودفعت به إلى الكتّاب حيث تلقى أول معارفه ، وقرأ القرآن العظيم على جماعة من الشيوخ ممن يسار إليهم في القراءات ، ثم سمع الحديث من أبيه عبد الله ، وجده سليمان ، وأخيه الأكبر أبي

---

(١) **ابن خالَوَيْه** (٣٧٠ هـ = ٩٨٠م) الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله: لغويّ، من كبار النحاة، أصله من همذان، زار اليمن وأقام بذمار، مدة، وانتقل إلى الشام فاستوطن حلب، وعظمت بها شهرته، فأحله بنو حمدان منزلة رفيعة، وكانت له مع المتنبي مجالس ومباحث عند سيف الدولة، وعهد إليه سيف الدولة بتأديب أولاده، وتوفي في حلب، من كتبه (شرح مقصورة ابن دريد)و (مختصر في شواذ القرآن) و (إعراب ثلاثين سورة من القرآن العزيز) و(ليس في كلام العرب) و (الشجر) ويقال إنه ل أبي زيد، و (الآل)و (الاشتقاق) و (الجمل) في النحو، و (المقصور والممدود) و (البديع) في شستريتي (٣٠٥١)، (**الزركلي**، الأعلام، ج٢/٢٣١، مرجع سابق).

(٢) **إيهاب عبد الحميد عبد الصادق سلامة**، شرحا أبي العلاء والخطيب التبريزي على ديوان أبي تمام دراسة نحوية صرفية، صـ٣٦، الناشر: رسالة ماجستير –كلية دار العلوم –جامعة القاهرة، بإشراف: د محمد جمال صقر، عام النشر: ٢٠١٢ م.

المجد محمد ، وغيرهم من محدثي المعرة وحلب في زمانه ، ولا شك في أن درس أبي العلاء للسنّة لم يكن جيداً ، ولا متقناً ، إذ لم يخرج منه محدثاً ، كما أخرج درس اللغة والأدب منه ، لغوياً أديباً ، وشاعراً كاتباً.

وأخذ العربية عن قوم من بلده، كبني كوثر، ومن يجري مجراهم من أصحاب ابن خالويه وطبقته، وقيد اللغة عن أصحاب ابن خالويه أيضاً، وطمحت نفسه إلى الاستكثار من العلم، فرحل إلى طرابلس الشام، وكانت بها خزائن كتب وقفها ذوو اليسار من أهلها ، ويظهر من اللزوميات أنّه قد درس المسيحية واليهودية في أثناء تجواله بالشام ، وأدياره ، ورحل في سن السادسة والثلاثين إلى بغداد ، ولقي الكثير من علمائها، وكانت الحياة العلمية على شدة الاضطراب السياسي ، غضة نضرة ، وقد امتاز عصره بالمجامع العلمية ببغداد، فقد كان للأدباء على اختلافهم مجمع زعيمه الشريف الرضي ، ومجمع آخر حول الوزير سابور بن أردشير، وكان هنالك مجامع فلسفية وكلامية، ومجالس للمناظرة في الفقه والكلام، وكان ببغداد في عهد أبي العلاء مكتبتان عامتان إحداهما قديمة أسسها الرشيد وهي بيت الحكمة ، والأخرى حديثة أنشأها سابور بن أردشير ، وقد وصفها ياقوت عند كلامه على محلتها ، وهي بين السورين فقال : إنها اشتملت على أصح الكتب وأوثقها في كل فن، وقلما خلا كتاب من كتبها من خط إمام معروف، وقال : وقد احترقت هذه المكتبة سنة سبع وأربعين وأربعمائة حين دخل السلاجقة بغداد(١).

ثانياً: رحلاته:

ذكر أبو الفداء أن أبا العلاء دخل بغداد واستفاد من علمائها ولم يتلمذ لأحد أصلا، وهو يخالف ما ذكره السيوطي وابن خلكان وغيرهما، وكان قد رحل أولا إلى طرابلس، وبها خزائن كتب موقوفة؛ فأخذ منها ما أخذ من العلم، ثم رحل إلى بغداد سنة ٣٩٨، فأقام بها سنة وسبة أشهر، ثم رجع إلى المعرة وأقام بها إلى وفاته، وقول ابن خلكان إنه دخل بغداد سنة ٣٩٨، ودخلها ثانية سنة ٣٩٩، وأقام بها سنة وسبعة أشهر لا يستقيم، (وذلك من خلال مؤلفاته وتصريحات أبي العلاء بنفسه)، ومن تصريحه عن نفسه أن رجوعه إلى المعرة ولزومه منزله كان سنة ٤٠٠، وقبل قدومه المعرة بمدة قصيرة ماتت أمه وأصيب في مال له، فرثاها بقصيدة ميمية طويلة، وأخرى بائية، وكتب إلى بغداد يخاطب صديقه وتلميذه القاضي أبا القاسم على بن المحسن التنوخي بقصيدة ضمنها أغراضاً يقول فيها معتذر عن مفارقته العراق:

أرثاني عنكم أمران والـدة ... لم ألقهـا وثراء عاد مسفوتا

أحياهما الله عصر البين ثم قضى ... قبل الإياب إلى الذخرين أن موتا

لولا رجاء لقائهما لمـا تبعت ... عنسي دليـلا كسر الغمد إصليتا

---

(١) **أحمد يحيى علي محمد**، المصطلحات البلاغية في شرح أبي العلاء لشعر المتنبي، أطروحة علمية قدمت لمجلس كلية الآداب في جامعة الموصل، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه، فلسفة في اللغة العربية، ٢٠١٥م.

ولا صحبت ذئاب الإنس طاوية تراقب الجدي في الخضراء مسبوتا [١]

يقول ابن العديم: رحل إلى بغداد لطلب العلم والاستكثار منه، والاطلاع على الكتب ببغداد ولم يرحل لطلب دنيا ولا رفد، وقد ذكر في قصيدته التي قرأتها على شيخنا أبي الحسن بن عمرو الموصلي بحلب قال: أنشدنا الخطيب أبو الفضل عبد الله بن أحمد الموصلي، قال: أخبرنا الخطيب أبو زكريا يحي بن على التبريزي إجازة، قال: أنشدنا أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان لنفسه وكتبها من بغداد إلى أهله، يريد بالمعرة:

أإخواننا بين الفرات وجلق يد الله لأخبرتكم بمحال

أنبئكم أني على العهد سالم ووجهي لما يبتذل بسؤال

وأني تيممت العراق لغير ما تيممه غيلان عند بلال [٢]

كما كان ابو العلاء يتردد على حلب، (فقد ذكرها في قصيدة له إلى أبي إبراهيم محمد بن إسحاق العلوي الحلبي فقال:

ليت التحمل عن ذراك حلول والسير عن حلب إليك رحيل

وهو الذي رثاه وقد مات بحلب بقصيدة آخرها:

لعلك في يوم القيامة زاكري فتسأل ربي أن يخفف من إثمي

ولعله كان يتردد إليه بحلب إذ أقام بها عند أخواله وكان أبو إبراهيم ضرب من قرض الشعر بنصيب فأنفذ إليه نونية أجاب عنها صاحبنا بمثلها [٣].

أما رحلاته إلى أنطاكية واللاذقية وطرابلس وصنعاء وغيرها من هذه البلدان فعلي الأصح أنها لم تثبت.

يقول الأستاذ الدكتور حسين جمعه: (فالمعري مرتبط بالمعرة ارتباطه بالوطن، فإذا ابتعد عنها استشعر الاغتراب والغربة؛ لذا تراه يعود إليها والهاً، وفق ما يراه القارئ في ديوانه) سقط الزند؛ (ولعل المتأمل في الصورة الشعرية السابقة يدرك أن غرابة اغتراب المعري في مفهومه للبعد عن الوطن لا يقل غرابه عن ولعه بالنحو واللغة؛ ومضاهاة افتراقه للمعرة بمضاهاة فراق حرف) الواو (لفعل) وعد (حين يصاب بالإعلال ....وإذا كان الإعلال يطول في الفعل فإن غيابه عن المعرة مؤقت... فحينما نعتقد بأنه لم يرحل خارج المعرة إلا مرتين، وفق ما ذكرناه، فإننا نميل إلى أنه لا صحة لما قيل عن رحلته إلى بقية الأمصار كأنطاكية، واللاذقية وطرابلس وصنعاء وغيرها، وكل شعر ذكر له في هذا الشأن إما أنه منحول، وإما أنه متخيل [٤].

---

(١) **أحمد تيمور باشا**، أبو العلاء المعري، صـ ١٧، مرجع سابق.

(٢) **أبو العلاء ودفاع ابن النديم عنه**، صـ ١٢١، دار سعد مصر للطباعة والنشر، ١٩٤٥م.

(٣) **محمد على بيضون**، أبو العلاء وما إليه، صـ ٥٤، مرجع سابق.

(٤) **الأستاذ الدكتور حسين جمعة**، الاغتراب في حياة المعري وأدبه، صـ٣٨، مجلة جامعة دمشق–المجلد ٢٧- العدد الأول والثاني ٢٠١١م.

ثالثاً: عزلة أبي العلاء وآثارها عليه:

ولمّا قدِم بغداد عزَم على العُزلة والانقضاب من العالم، فكتب إلى أهل المعرة:

((بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب إلى السكن المقيم بالمعرة، شملهم الله بالسعادة، من أحمد بن عبد الله بن سليمان، خص به من عرفه وداناه، سلم الله الجماعة ولا أسلمها، ولم شعثها ولا آلمها. أما الآن فهذه مناجاتي بعد منصرفي عن العراق، مجتمع أهل الجدل، وموطن بقية السلف، بعد أن قضيت الحداثة فانقضت، وودعت الشبيبة فمضت، وحلبت الدهر أشطره، وجربت خيره وشره؛ فوجدت أقوى ما أصنعه أيام الحياة، أن اخترت عزلة تجعلني من الناس كالبارح الأروى من سانح النعام، وما ألوت نصيحة لنفسي، ولا قصرت في اجتذاب المنفعة إلى حيزي؛ فأجمعت على ذلك، واستخرت الله فيه، بعد جلائه على نفر يوثق بحصائلهم؛ فكلهم رآه حزما، وعده إذا تم رشدا، وهو أمر سري عليه بليل، قضي ببقة، وخبت به النعامة؛ ليس بنتيج الساعة، ولا ربيب الشهر والسنة، ولكنه غذي الحقب المتقادمة، وسليل الفكر الطويل، وبادرت إعلامهم ذلك مخافة أن يتفضل منهم متفضل بالنهوض إلى المنزل الجارية عادتي بسكناه، ليلقاني فيه فيتعذر ذلك عليه، فأكون قد جمعت بين سمجين: سوء الأدب، وسوء القطيعة، ورب ملوم لا ذنب له، والمثل السائر: "خل امرأ وما اختار". وما أسمحت القرون بالإياب حتى وعدتها أشياء ثلاثة: نبذة كنبذة فتيق النجوم، وانقضابا من العالم كانقضاب القائبة من القوب، وثباتا في البلد إن جلا أهله من خوف الروم، فإن أبى من يشفق على أو يظهر الشفق، إلا النفرة مع السواد، كانت نفرة الأعفر أو الأدماء؛ وأحلف ما سافرت أستكثر من النشب، ولا أتكثر بلقاء الرجال، ولكن آثرت الإقامة بدار العلم، فشاهدت أنفس ما كان لم يسعف الزمن بإقامتي فيه. والجاهل مغالب القدر. فلهيت عما استأثر به الزمان. والله يجعلهم أحلاس الأوطان لا أحلاس الخيل والركاب، ويسبغ عليهم النعمة سبوغ القمراء الطلقة على الظبي الغرير، ويحسن جزاء البغداديين؛ فلقد وصفوني بما لا أستحق، وشهدوا لي بالفضيلة على غير علم، وعرضوا على أموالهم عرض الجد، فصادفوني غير جذل بالصفات، ولا هش إلى معروف الأقوام، ورحلت وهم لرحلتي كارهون، وحسبي الله، وعليه فليتوكل المتوكلون)). اهـ[1].

وإنما قيل له "رهن المحبسين" للزومه منزله، وكف بصره. فأقام مدة طويلة في منزله مختفيا، لا يدخل عليه أحد؛ ثم إن الناس تسببوا إليه، حتى دخلوا عليه. فكتب الشيخ أبو صالح محمد بن المهذب إلى أخيه أبي الهيثم عبد الواحد بن عبد الله بن سليمان –رحمهما الله–في ذلك:

---

(١) **عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي**، كمال الدين ابن العديم (٦٦٠ هـ)، الإنصاف والتحري في دفع الظلم والتجري، عن أبي العلاء المعري، صـ٧١، ١٠٣، مرجع سابق.

بشمس زرود لا ببدر مـعان ألما وإن كان الجميع شجـاني
أراها أبت إلا النوى بي مغرمـا ولو رضيت هجرانها لكفاني
تمن بإهداء السلام تجـاهلا ولو علمت أن الرقاد جفـاني
هبي هجعة كيما أرى الطيف مرة بها تحت أرواق الدجى ويراني
لعلي أشفي علتي بلقــائه فكم من خليل زارني فشفاني [١]

وهذا أبو صالح قائل هذا الشعر، هو أبو صالح محمد بن المهذب بن علي بن المهذب بن أبي حامد بن محمد بن همام التنوخي المعري؛ كان كبير القدر، جليل الأمر، فاضلا عالما، زاهدا، محدثا، شاعرا، حدث بالكثير عن أبي العلاء المعري، وجده علي بن المهذب بن محمد، والقاضي أبي عمرو عثمان بن عبد الله بن إبراهيم قاضي معرة النعمان، وجماعة سواهم. وكان ابن عمة أبي العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان. [٢]

رابعاً: دينـه:

إن شخصية أبي العلاء المعري لهي من تلك الشخصيات العبقرية الكبرى المتعددة المزايا والصفات التي يصعب على الباحثين وأن لم يستحل أن يدركوها إدراكا كليا وأن يحددوها تحديدا شاملا.

فكذلك فلسفته؛ إنها متفننة النواحي متباينة الأطراف، متناقضة المرامي، فقلما تردد الناس في مذهب كترددهم فيها، وقلما اختلف العلماء على تنوع طبقاتهم في غابر الزمان وفي حاضره كاختلافهم فيه.

فإذا تأملنا في أولئك المختلفين من المتقدمين وجدناهم على ثلاثة أقسام تفرعت إلى فروع، فريق من زندقة أو كفره، وفريق من حكم بصحة إيمانه واجتهد في الدفاع عنه إلى حد أنه أنكر فيه وجود فلسفة امتاز بها عما سواه وفريق تحير في شأنه وما جرأ على شتمه ولا على تبريره فأمسكوا عنه وفوضوا أمره إلى خالقه [٣].

كما يتهم الكثيرون أبا العلاء بجحد النبوات، وعدم الإيمان بالبعث والنشور، وكثيرا ما يتعمدون تحريف كلمه، أو صرف ظاهره إلى غير مراده، افتيانا عليه، وانتصارا لمدعاهم، فضلا عما وضعوه على لسانه من الكذب والبهتان كما أثبته نقلة أخباره [٤].

---

(١) للأبيات بقية لا يتسع المجال لذكرها.

(٢) **عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم (٦٦٠ هـ)**، الإنصاف والتحري في دفع الظلم والتجري، عن أبي العلاء المعري، ج٦٩/١.

(٣) **هنري لا وست**، اختلاف الآراء في فلسفة أبي العلاء، صـ ٢٩٣، المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، دار صادر–بيروت، ١٩٥٥م.

(٤) **أحمد تيمور باشا**، أبو العلاء المعري، نسبه وأخباره شعره ومعتقده، صـ١٥٦، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٠م.

هل حقا عارض أو العلاء القران الكريم؟

لو حكمنا عقلنا في هذه المسألة نقول (كيف يقدم أبو العلاء على ما لم يحاول أن يقدم عليه العرب جميعاً، وهم في مواجهة الدعوة الإسلامية؟ وفي مقام تحدي القران لهم أن يأتوا بسورة من مثله؟.

إن الذي حال بين ابي العلاء وبين أن يلقي بنفسه في محيط هذا البحر المحيط العميق هو الذي حال ويحول بين كل ذي عقل، وبين هذا الموقف الذي تقتحمه في الأبصار، وتزدريه العقول، وتنزله منزلة البله والمجانين.

فهل مثل أبي العلاء، وهذا حظه من العقل ومبلغه من العلم وحاله من المعرفة بمواقع البلاغة والبيان بالذي تسول له نفسه أن يهتر، ويهذي في موقف الجد فيصبح أضحوكة الزمن، وسخرية الأجيال؟

وكلا فإنه إذا كان لأحد من الناس أن يغامر بعقله، ويسترخص شرفه ومروءته، في هذا المقام فإن أبا العلاء وهو المعتز بعقله الحريص على مروءته وشرفه لا يمكن بحال أبداً، أن يأتي هذه الفعلة الشنعاء، وتلك الفضيحة المخزية أبد الدهر) [1].

وإليك أخي القارئ الدليل القاطع على عكس القول باعتراض أبا العلاء على أحكام القران:

من قال بمثل هذا القول استدل بكتاب أبا العلاء المعنون بـ (الفصول والغايات في محاذاة الفصول والآيات)، الذي ألفه أبا العلاء أواخر حياته.

وعلى هذا نقول: أن الذي ينظر في هذا الكتاب دون أن يقرأ عنوانه أو يتعرف على مؤلفه، يرى أنه كتاب أدب، وجامعا بين الشعر والنثر، ولا يرى بينه وبين القران نسباً، إذ هو عبارة عن حكم ومواعظ لا غير، ثم إن بعض المحققين في هذه المسألة توصل إلى أن أصل الكتاب عنونه أبا العلاء بـ (الفصول)، أو الفصول والغايات.

وقد كانت هذه الكلمة المضافة كذبا إلى عنوان الكتاب وهي (ومحاذاة السور والآيات) اتهاما مسبقا لأبي العلاء بمعارضة القران، دون أن ينظر المتهمون له إلى ما جاء في الكتاب من مقولات، حتى يحكم عليه بما قال [2].

وبعدما قامت الباحثة بمراجعة كتابات من تكلموا في عقيدة أبا العلاء المعري ووجدت اختلافات جوهرية بين تلك الآراء، تميل الباحثة إلى القول بأن أبا العلاء قد خلط عملا صالحا وآخر سيئاً فتارة يصف الله عز

---

(١) **عبد الكريم الخطيب**، رهين المحبسين، أبو العلاء المعري بين الإيمان والإلحاد، صـ ١١٧، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، ط١/١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

(٢) ينظر: المصدر السابق، صـ١١٧، وما بعدها.

وجل بالظلم والتعارض في أحكامه (حاشاه) وتارة يثبت لله عز وجل صفاته وقدرته وأنه المعبود الواحد الأحد، فعسى أن يكون أبا العلاء اتخذ مذهبا يدين به ثم رجع عنه، والله أعلم.

آثاره:

فأول ما ألف بعد انقطاعه في منزله، بعد رجوعه من بغداد، الكتاب المعروف بـ "**الفصول والغايات**" في تمجيد الله تعالى والعظات. وهو موضوع على حروف المعجم. وأراد بالغايات القوافي؛ لأن القافية غاية البيت. وفيه قواف تجيء على نسق واحد، وليست الملقبة بالغايات. وهو الكتاب الذي افتري عليه بسببه، وقيل إنه عارض به السور والآيات، تعديا عليه وظلما، وإفكا به أقدموا عليه وإثما؛ فإن الكتاب ليس من باب المعارضة في شيء. ومقداره مائة كراسة، وفيما يلي أهم أعمال أبي العلاء المعري:

١- كتاب "**السادن**" وضعه في ذكر غريب هذا الكتاب وما فيه من اللغة. ومقداره عشرون كراسة.

٢- كتاب "**إقليد الغايات**"، وهو مشتمل على تفسير اللغز. ومقداره عشر كراريس.

٣- ثم ألف الكتاب المعروف بالـ "الأيك والغصون"، وهو كتاب كبير، ويعرف بكتاب "الهمز والردف"، بني على إحدى عشرة حالة من الحالات: الهمزة في حال انفرادها وإضافتها، ومقدار هذا الكتاب ألف ومائتا كراسة. وهذا الكتاب قليل الوجود لكبره، ولم أقف إلا على جزء واحد منه، وبعضه موقوف في خزانة كتب النظامية ببغداد. وبالديار المصرية منه نسخة كانت في خزائن المصريين، صارت إلى القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني، وانتقلت إلى ولده القاضي الأشرف.

٤- "**كتاب في تفسير الهمزة والردف**" جزء واحد.

٥- والكتاب المعروف بـ "**تضمين الآي**"، يتضمن العظات، والحث على تقوى الله تعالى.

٦- والكتاب المعروف بـ "**تاج الحرة**" وهو في عظات النساء خاصة.

٧- والكتاب المعروف بـ "**سيف الخطبة**"، يشتمل على خطبة السنة، فيه خطب الجمع، والعيدين، والخسوف، والكسوف، والاستسقاء، وعقد النكاح.

٨- كتاب " **خطب لختم القرآن العزيز**"، فيه عدة خطب لذلك، مقداره خمس كراريس.

٩- والكتاب المعروف بـ "**خطب الخيل**"، يتكلم فيها على ألسنة الخيل، ويذكر على لسان كل فرس خطبة يحمد الله تعالى فيها ويعظمه.

١٠- والكتاب المعروف بـ "خطبة الفصيح". يذكر فيها الألفاظ التي تروى عن ثعلب في كتاب الفصيح، في ضمن كلام فصيح منثور، في كل باب من أبواب الفصيح. ومقداره خمس عشرة كراسة.

١١- وكتاب شرح فيه ما جاء في هذا الكتاب من الغريب يعرف بـ "**تفسير خطبة الفصيح**"، لا أعلم مقداره، ولم أقف عليه.

١٢- وكتاب يعرف بـ "**رسيل الراموز**"، مقداره ثلاثون كراسة.

١٣- ومن الكتب الصغار كتاب يعرف بـ "**خماسية الراح**"، في ذم الخمر خاصة، على حروف المعجم.

١٤- وكتاب يعرف بـ "**المواعظ الست**" سأله فيه بعض الوعاظ. ومعنى هذا اللقب أن الفصل الأول منه في خطاب رجل، والثاني في خطاب اثنين، والثالث في خطاب جماعة، والرابع في خطاب امرأة موحدة، والخامس في خطاب امرأتين، والسادس في خطاب نسوة. ومقداره خمس عشرة كراسة.

١٥- وكتاب يعرف بـ "**وقفة الواعظ**".

١٦- وكتاب يعرف بـ "**دعاء الساعة**". وهما مختصران، ولا أعلم مقدار حجمهما.

١٧- وكتاب "دعاء الأيام السبعة"، لا أعلم مقداره.

١٨- وكتاب "حرز الخيل"، لا أعلم مقداره. و"جزء فيه حرز وتعويذ" لا أعلم مقداره.

١٩- وكتاب يعرف بـ "**سجع الحمائم**"، يتكلم فيه على ألسن حمائم أربع. وكان بعض الرؤساء سأله أن يصنف له تصنيفا يذكره فيه، فأنشأ هذا الكتاب، وجعل ما يقوله على لسان الحمامة في العظة والحث على الزهد. ومقداره ثلاثون كراسة.

٢٠- وكتاب يعرف بـ "**تظلم السور**"، يتكلم فيه على لسان سور القرآن، وتتظلم كل سورة ممن قرأها بالشواذ، ويتعرض لوجه الشاذ. مقداره ست كراريس.

٢١- وكتاب يعرف بـ "**عظات السور**" يشتمل على مواعظ. لا أعلم مقداره.

٢٢- وكتاب يعرف بـ "**الجلي والجلي**". سأله فيه رجل من أكابر الحلبيين يقال له أبو الفتح عبد الله بن إسماعيل بن الجلي (١) الحلبي، وهو رجل فاضل من أكابر الحلبيين وأعيانهم، وأرباب النعمة منهم، له مصنفات ورواية الأحاديث النبوية. سمع منه الخطيب أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، وأبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي جرادة الحلبي، وغيرهما. مقدار هذا الكتاب عشرون كراسة.

٢٣- وكتاب يعرف بـ "**رسالة الصاهل والشاحج**"، يتكلم فيه على لسان فرس وبغل، وهو كتاب حسن، صنفه للأمير عزيز الدولة أبي شجاع فاتك بن عبد الله الرومي، مولى منجوتكين العزيزي [1]، وكان أبو

---

(١)**العزيزي أمير دمشق ينجوتكين التركي:** العزيزي مولى العزيز ولي إمرة دمشق سنة إحدى وثمانين وثلاث مائة وتوفي سنة سبع وثمانين وثلاث مائة وبقي على ذلك مدة إلى أن عزله الحاكم وأرسل عوضه سليمان بن جعفر بن فلاح فنزع ينجوتكين الطاعة وسار إلى الرملة لحرب من يأتي من مصر فتواقعوا في جمادى الأولى وانهزم ينجوتكين ووصل إلى دمشق في يومين وطلب النصرة من أهل البلد فلم يجيبوه ونهبوا داره فهرب إلى أذرعات ولجأ إلى ابن الجراح الطائي فلم يمنعه وأسلمه إلى الأمير سليمان بن جعفر فبعث به إلى مصر فعفى عنه الحاكم؛ **(صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (٧٦٤هـ)**، الوافي

شجاع هذا والي حلب من قبل المصريين في أيام الحاكم وبعض أيام الظاهر، وكان سبب تصنيفه أنه رفع إلى فاتك أن حقا يجب له على بعض أقرباء أبي العلاء، وجب على أبي العلاء سؤاله فيه مقداره أربعون كراسة.

٢٤- وكتاب لطيف في تفسير الصاهل والشاحج، يعرف بـ "**لسان الصاهل والشاحج**"، عمله أيضا لعزيز الدولة المذكور، ومقداره ثمان عشرة كراسة. وبعض الجهال يقول: إنه عمله لأبي الدوام ثابت بن ثمال [١] بن نصر بن صالح، وكان يلقب عزيز الدولة، وهو غير صحيح، بل الذي عمله لأبي الدوام، اللامع العزيزي [٢].

وغيرها الكثير والكثير لا يتسع المجال لذكرها...

المبحث الرابع: شيخوخته، وصيته، ووفاته وقبره ( )

لزم أبو العلاء منزله بعد منصرفه من سنة اربعمائة ، وسمى نفسه "رهين المحبسين " ، للزومه منزلة وذهاب عينيه ، ومكث خمساً وأربعين سنة من عمره ، لا يأكل اللحم ، ولا البيض ، ولا اللبن ، ولا شيئاً من حيوان تديناً ، لأنه كان يرى رأي الحكماء المتقدمين وهم لا يأكلونه كراهة للذبح ، وكان يتّقوت بالنبات وغيره واكثر ما كان يأكل العدس ، ويتحلى بالدبس والتين ، ولا يأكل بحضرة أحد ، ويقول " أكل الأعمى عورة " ، وكان برغم كل ذلك ، طيب المعشر ، فكه الحديث ، يجلس إلى تلامذته ، فيدارسونه ويدارسهم في الأدب ، والشعر ، وفنون اللغة ، ويستمع اليهم ويستمعون إليه توفّي أبو العلاء ليلة الجمعة ثاني شهر ربيع الأول ، سنة تسع وأربعين وأربعمائة، عن ست وثمانين سنة، وقد أوصى بأن يكتب على قبره:

هذا جناه أبي علي وما جنيت على أحد.

بالوفيات، ج٢٩/٢٩، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، عام النشر: ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م).

(١) **ابن شِبْل الدَّوْلَة** (٤٦٧ هـ = ١٠٧٥ م) محمود بن نصر بن صالح بن مرداس الكلابي، عز الدولة ابن شبل الدولة: أحد الأمراء المرداسيين أصحاب حلب. وليها سنة ٤٥٢ هـ ووجهت إليه حكومة مصر عمه ثمال بن صالح فانتزعها منه (سنة ٤٥٣) وتوفي ثمال بعد عام، فوليها عطية بن صالح، فأغار عليه محمود فامتلكها (سنة ٤٥٤) وقوي أمره، وصفا له جوها، فاستمر إلى أن توفي. كان شجاعا فيه حزم؛ قال ابن العماد: كان يداري المصريين والعباسيين لتوسط داره بينهما. وقال ابن قاضي شهبة: مدحه ابن حيوس بقصائد؛ **(الزركلي**، الأعلام، ج١٨٩/٧).

(٢) **عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي**، كمال الدين ابن العديم (المتوفى: ٦٦٠ هـ)، الإنصاف والتحري في دفع الظلم والتجري، عن أبي العلاء المعري، صـ٥٠، مرجع سابق.

وهو أيضاً متعلق باعتقاد الحكماء، فهم يقولون :إيجاد الولد وإخراجه إلى هذا العالم جناية عليه، لأنه يتعرض للحوادث والآفات، وروي أنّه قد أُنشد على قبره ثمانون مرثيةً، رثاه بها أصحابه، ومن قَرأ عليه [1].

لقد حول توالي النهار والليل لون شعر أبي العلاء المعري من أسود إلى أبيض

وجدت سواد الرأس يقلب لونه من الدهر بيض يختلفن وجون

فأخذ أبي العلاء يشكو من مآسي الشيخوخة. وما نتج عنها من شيب الرأس، ووهن القوى واعتلال الصحة، وشح البصر، وثقل السمع، وقصر الخطى. هرم أبي العلاء وأصابته الشيخوخة. اعتل رهين المحبسين في أوائل شهر ربيع الأول من سنة ٤٤٩هـ وعاده الطبيب المشهور " أبو بطلان: ابو الحسن المختار " وكان ممن يتردد عليه للزيارة والسماع، وأثناء مقامه بديار الشام. وأحاط به خاصة أهله الأقربون، من بني إخوته وبني عمه، ومر عليه يوم وثان والعلة لا تفارقه، فلما كان اليوم الثالث عرفوا أنها علة الموت، ومات أبو العلاء في غد ذلك اليوم. تاركاً وصيته.

ومسجلاً بها في لحظة النهاية مأساة حياته وموقفه منها توفي أبو العلاء في سنة ٤٤٩هـ بمعرة النعمان وهو في السادسة والثمانين من عمره.

(١) **أحمد يحي على محمد**، المصطلحات البلاغية والنقدية في شرح أبي العلاء لشعر المتنبي، صـ١٢، مرجع سابق.

الفصل الثالث: آراؤه الفلسفية والتربوية ومدرسته الفكرية

المبحث الأول: قلق الحياة في أدب أبي العلاء المعري

أولا: تعريف القلق وأنواعه:

القلق لغة: من قَلِقَ (بكسر اللام): اضطربَ وانزعج، وهو قلِقٌ (بكسر اللام) والقَلَقُ (بفتح القاف واللام): حالة انفعالية تتميز بالخوف مما قد يحدث [١].

والْقَلَقُ (اصطلاحاً): فيعرّف ماسرمان Masserman القلق: " بأنه حالة من التوتر الشامل الذي ينشأ خلال صراعات الدوافع ومحاولات الفرد وراء التكيف"

والقلق هو: "حالة نفسية تتصف بالتوتر والخوف والتوقع، سواء كان ذلك حيال أمور محددة أو غامضة، قد يكون هذا الانفعال عارضاً وهو ما يعرفه كل الناس كما يعرفون لحظات الحزن والألم والأسى، ثم ينقضي هذا الإحساس بانقضاء أسبابه وقد يكون مزمناً ".

كما يمكن تعريفه: "بأنه الشعور بالضيق والاضطراب وعدم الاستقرار النفسي يصحبه شعور مبهم بالخوف من شيء غير محدد بالذات أو من توقع حدوث شيء ما، وهو يتفاوت في الشدّة من مجرد شعور بالاضطراب إلى شعور مرعب يعجز الإنسان معه عن أداء أي شيء"[٢].

وهناك نوعان من القلق:

الأول: **القلق المحمود** حيث يكون القلق غير راض بالواقع الذي لا يروق للإنسان ولا يحقق رغباته مثل الخوف من نتيجة الامتحان، والثاني: **القلق السوداوي**، وهو القلق المَرضي.

وفي هذا المبحث يقتصر على وصف ظاهرة قلق الحياة في أدب أبي العلاء المعري (مظاهرها وأسبابها) مع العناية بديوان (لزوم ما لا يلزم)، والدراسات التي لامست هذه الظاهرة.

١: قلق المرحلة الأولى:

القلق ليس بدعا عند أبي العلاء بل هي ظاهرة نجدها عبر عصور الأدب وهناك بعض المؤثرات ساعدت في تكوينها عند أبي العلاء. شغل المعري الناس والنقاد والباحثين بشعره كما شغلهم قبله المتنبي (ت ٣٥٤هـ).

---

(١) **د أحمد مختار عبد الحميد عمر (١٤٢٤هـ)**، معجم اللغة العربية المعاصرة، بمساعدة فريق عمل، ج١٨٥٢/٣، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ -٢٠٠٨ م، **إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار**، المعجم الوسيط، ج٧٥٦/٢، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر: دار الدعوة.

(٢) **سارة محمد عبد الله المعصوب القحطاني**، دور ممارسة الألعاب في خفض القلق لذوي الإعاقات الجسدية الحركية بمؤسسة رعاية المشلولين بالطائف، صـ ١٩، رسالة ماجستير بكلية التربية بمكة المكرمة، ١٤٣٠هـ.

٢-قلق المرحلة الثانية

لقد أقر له الكثر بأنه أعجوبة زمانه، ولكن لما لبثوا أن تحولوا عنه وقلبوا له ظهر المجن حتى وصل الأمر لإهانته في مجلس كان يضم علية القوم في بغداد، ففي مجلس الشريف المرتضى حيث يتداولون سيرة المتنبي وينقدونه كون المرتضى يكرهه لم يرتض أبو العلاء هذا النفاق، وعندما سئل عن أبي الطيب فقال: لو لم تكن له إلا قصيدته التي يقول فيها:

لكِ يا منازل في القلوب منازل أقفرتِ أنتِ وُهنَّ منك أواهِلُ

كفته فأمر الشريف بإخراجه وطرد من المجلس، وقال المرتضى إلى الحضور لم اختار الأعمى هذه القصيدة دون غيرها؟ قالوا: ما ندري. قال: إنه يعرض فيها ببيته المشهور [١]

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل

وهذه الحادثة كانت مثل السهم الأصم في قلب أبي العلاء فكانت الحد الفاصل بين مجاهداته لنفسه والتعالي فوق مصيبته، فقرر مغادرة بغداد والعودة إلى بيته في المعرة ليمكث خمسين سنة لا يخرج إلا إذا دفعته أمور قاهرة للخروج.

إن تجليات القلق من التأثر تبدو واضحة من خلال قراءة المعري لأسلافه من الشعراء فهو حينما يقول:

وإنِّي وإن كُنتُ الأَخِير زمانُه لآتٍ بما لَم تَستَطِعه الأَوائِلُ

يكشف عن مدى ما يعتريه من شعور بالهيمنة والسلطة من لدن الأسلاف، لذا يدخل في صراع مر معهم منذ البداية (المرحلة الأولى) محاولاً نسف قوتهم وتعطيل فحولتهم فهو – على حسب قوله – يتفوق عليهم وإن كان متأخراً، لا، لأنه آت بما لم تقله الأوائل، بل بما لم تستطعه. فالاستطاعة التي تتجلى من خلال سياق النص ودلالتها الإيحائية ترتبط بالقدرة العالية والتفوق والقوة) الفحولة(وهذه الصفات تكون كافية له في قهرهم وسحب الشهادة الفحولية منهم، فالشعراء الموصفون بالسبق والفحولة من أمثال زهير بن أبي سلْمى، والنابغة الذبياني لا يرتقون إلى ما ارتقى إليه، بل فما شأن هؤلاء إزاءه حينما يلم شراد المعاني:

تذوذ علاك شراد المعاني إلى فمن زهير أو زياد

فالأسلاف برأيه – وإن كانوا سباقين إلى المعاني والصور والأخيلة غير أن ما قالوه قد مضى عليه دهر وصار قديماً، إنما الفضل للجديد والجدة، إذ يقول:

وإذا نضت عن متنها برد الصبا معشوقة فإلى الجفاء تؤول

---

(١) عبد الرحمن، عائشة: جديد في رسالة الغفران، ص٢٥

فالمعشوقة مرغوب فيها طالما كانت ترتدي برد الصبا، فإذا ما تجردت منه هجرها من كان يعشقها، وكذلك الشعر)) إنما يحلو مسمعه، ويحسن من الممدوح موقعه، إذا لم تُخْلِقه الأيام، وكان حديث النّظام؛ فابعثْ بها إليه قبل أن (تُخْلِق جِدّتُه وتذهب بهجته).

فالمعري يلجأ إلى الوسائل الدفاعية لكيلا يغدو نسخة مكررة من السلف، وان ما قاله ليس سوى إجراء دفاعي يحاول من خلاله إيهام المتلقي بتفوقه الساحق على الآباء، ولا يخفى أن قراءة المعري للسلف وان كانت قوية في عدد من المواقع أو فإنها لم تخلُ من التباين، فكانت على مستويات عدة ، ومن هنا فإننا قسمنا قراءته للأسلاف على ست قراءات ، وتجدر الإشارة إلى أننا لا نقصد أن هذه القراءات هي قيم معيارية لنصوص المعري مستقلة بذاتها، بل هي تقويم للعلاقات التي تربطها بالنصوص السابقة ومدى فاعليتها في التعامل معها وكيفية انفتاحها عليها وهذه القراءات الست هي:

١-القراءة المحتذية :وفيها يكون الشاعر واقعاً تحت هيمنة النص السابق وسلطته.

٢-القراءة التكرارية النامية :وفيها يقْرأُ النص السابق الواحد أكثر من مرة.

٣-القراءة الموازية :وفيها يسير الشاعر في ركب أسلافه وموازياً لهم.

٤-القراءة التعديلية :وهي القراءة التي تكمل النص السابق أو تصححه.

٥-القراءة المضادة :هي القراءة التي تقلب النص السابق وتنقضه.

٦-القراءة الإنتاجية :وهي قراءة ذكية يحاور فيها الشاعر نصوص أسلافه مولداً منها نصوصاً جديدة تتصف بالإبداع [١].

المبحث الثاني: الآراء الفلسفية عند أبي العلاء المعري

أولا: الفلسفة عند أبي العلاء:

يقول طه حسين: إذا سمع الناس أبا العلاء لم يفهموا منه الا رجلا ملحداً، فإذا سألتهم عن علة إلحاده، وعما أخرجه من الدين وحشره في الملحدين رووا لك أبياتا في اللزوميات تنطق بإنكار الشرائع، والغض من الأنبياء، وهذا القدر هو كل ما عرف الناس من فلسفة أبي العلاء هو الذي نشر هذه الأبيات في الناس وجمع حولها تلك الشبه الكثيرة التي جعلته في رأي الأجيال المختلفة من أهل الجحيم، غير أن ما يتصل بالدين من شعر أبي العلاء ليس شيئا بالقياس إلى الفلسفة العلائية التي تناولت أطراف العلم الإنساني، وبحثت عن المظاهر العلمية للإنسان في حياته الخاصة والعامة ولو أن فلسفة أبي العلاء عرفت للناس كما هي، ودرست في مدارسهم درسا مفصلا، لكان للرجل في آرائهم حال غير هذه الحال، من تعصب الفقهاء عليه، وسوء رأي

---

(١) **رمضان محمود كريم البالاني**، شعر المعري من منظور القراءة والتأويل، صـ٥٢، أطروحة رسالة علمية مقدمة إلى مجلس كلية التربية جامعة بغداد.

الدينين فيه، وتلك الحيل التي اتخذها ليخفى على الناس آراءه، وهي التي حالت بين العقول وبين فلسفته فجعلته مجهولا للتاريخ والمؤرخين على السواء من التاريخ، والمؤرخين، وإن كثر الكتاب عنه قديما وحديثا إلا بذكائه، وذاكرته، ولغته؛ وإلحاده، يروون فيه الأعاجيب ويتندرون في وصفها بالأفاكيه.[١]

إن الشك عند أبى العلاء المعري منهج معين يسير عليه نحو الوصول إلى الحقيقة، والتناقض الظاهري لديه لا يعنى إلا مرحلة التردد بين اليقين وعدم اليقين؛ بين المنقول والمعقول، بين المتعارف عليه والجديد، بين التقليد والتجديد، ويصطدم المعري في منهجية الشك لديه بكل ما هو متوارث، فالمعطيات لديه ليست مقدسة والفضل –ليس كما قال القدامى –للمتقدم بل إنه يستطيع كما قال عن نفسه:

وإني وإن كنتُ الأخيرَ زمانه لآتٍ بما لم تستطعهُ الأوائلُ

لكننا نتساءل ما الهدف الذي سعى إليه المعري من خلال الشك كمنهج لديه؟ أظن إن المعري قد استخدم الشك طريقا للوصول إلى قناعة داخلية، إنه في صراع أبدي مع نفسه، مع مجتمعه، مع السلطة، مع الأديان، إنه يشعر أن قوة داخلية تطارد فكره كي يرتقي إلى منزلة اليقين وفى خلال رحلته القلقة يصطدم مع كل المؤسسات القائمة ويسعى إلى تقويمها أو تحطيمها إن لم يجد إلى تقويمها سبيلا.

وعندما ننظر إلى هذا الكم الهائل من مؤلفات المعري (وما احتوته من فكر) نجد أن أهم ما يدعو إليه المعري هو إعمال العقل " فكلُّ عقلٍ نبيٌّ " وفى مرحلة تنبيه العقل ينمو الشك لديه في كل ما حوله ويتخذ عند المعري ثلاثة أشكال: –

(أ) الشك في الأديان.

(ب) الشك في التراث الأدبي.

(ج) الشك في المجتمع [٢].

وحتى لا اخرج عن الإطار المحدد للبحث، سأتناول الشكل الأول فقط من أشكال الشك عند المعري (الشك في الأديان)، في المبحث القادم ان شاء الله.

---

(١) **طه حسين**، ذكرى أبي العلاء، صـ٣٠٨، عنى بنشره وتصحيحه: توفيق الرافعي، مكتبة الهلال بالفجاله، مصر، ط٢/١٩٢٢م.

(٢) **د. محمد أبو الفضل بدران**، الشك عند أبى العلاء المعري، صـ١٩، جامعة الإمارات العربية المتحدة، د ت.

ثانيا: حياته الفلسفية وعناصر شخصية أبي العلاء من خلال آرائه:

أهم مصادر فلسفة أبي العلاء المعري:

كان لازدهار الفلسفة، وعناية البغداديين بها أثر واضح في الدراسات النحوية، ومن ثم رأينا من النحويين من أكثر من استعمال الأساليب الفلسفية في كلامه كأبي الحسن الرماني الذي كان يؤيد المعتزلة، وتأثر بفلسفتهم في دراساته النحوية.

وحاول بعض الباحثين المعاصرين أن ينفي وجود المدرسة البغدادية؛ معتمدا على من ينظمون أفرادها في البصريين والكوفيين، وأن علمين من أعلام جيلها الثاني يَنْسُبَان أنفسهما في البصريين، وهما أبو علي الفارسي وتلميذه ابن جني؛ إذ يعبران في تصانيفهما عنهم كثيرا بكلمة أصحابنا، وينتصران في أغلب الأمر للآراء البصرية، وكثيرا ما يطلق ابن جني على الكوفيين اسم البغداديين؛ وكأنهم مدرسة واحدة [١].

ثالثا: آراء أبي العلاء الفلسفية:

الحقيقة أن أبا العلاء نحوي لا كالنحاة، إنه أديب فيلسوف درس النحو وخبره من بعد ما حفظ اللغة ووعاها، فكان أصدق لهجة في الحكم على كلام العرب، وكره بعض تأويلات النحويين فاحتكم إلى ما يوجبه الطبع السليم، وإن لم يذكره أحد من النحويين، ومن هذا ما ذكره في شرح بيت البحتري:

ثَلاثَةٌ جِلَّةٌ إِن شُوِّروا نَصَحوا أَوِ اِستُعينوا كَفَوا أَو سُئِّلوا عَدَلوا [٢]

أراؤه في رسالة الغفران:

أملى أبو العلاء المعرى هذه الرسالة سنة ٤٢٤ هـ وذلك ردا على رسالة ابن القارح، على بن منصور ، الأدريب الحلبي ، وقد املى هذه الرسالة وهو في سن التشاؤم والانهزام من الحياة [٣]

تركز الرسالة في بنيتها على المفارقة بين الجنة والنار بوصفها اغتراباً مؤرقاً ما وقع في الحياة الدنيا .لذا شرع المعري ينزل كل من أدخلهم الحياة الآخرة منزلته في الجنة أو في النار .وفي صميم ذلك يتناول المفارقة في حياة مواضع الشعراء والأدباء ويركز على التشخيص المثير والمدهش ([٤])

---

(١) **إيهاب عبد الحميد عبد الصادق سلامة**، شرحا أبي العلاء والخطيب التبريزي على ديوان أبي تمام دراسة نحوية صرفية، رسالة ماجستير –كلية دار العلوم –جامعة القاهرة، بإشراف: د محمد جمال صقر، ٢٠١٢ م

(٢) **هاني محمد عبد الرازق القزاز**، المسائل النحوية والصرفية في شرح أبي العلاء المعري على ديوان ابن أبي حصينة، صـ٦٤، إشراف: أ. د. إبراهيم حامد الإسناوي –أ. د. مصطفى خليل خاطر، المصدر: الشاملة الذهبية

(٣) **أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان، أبو العلاء المعري، التنوخي (٤٤٩ هـ)**، رسالة الغفران، صـ٤٣، تحقيق: علي حسن فاعور، دار النشر: دار الكتب العلمية –بيروت / لبنان –١٤٢٢ هـ –٢٠٠١ م.

(٤) **المعري**، رسالة الغفران، صـ ١٢٩، مرجع سابق.

ولما كان يحقر الرجاز لفنَّهم وضعهم في آخر الجنة تحقيراً لهم ... أما المفارقة في علاقته بابن القارح فهي ذات تأثيرات اغترابية تصاعدية ...ولاسيما حين يسخر منه بقوله" :الشيخ بالنحو أعلم من (سيبويه) وباللغة والعروض من الخليل إن غرابة بنية (رسالة الغفران) تنبثق من مشكلة التنافر بين أبي العلاء وابن القارح، لذا أدخله جنة الغفران، بعد أن ملأ نفسه بالحزن واليأس، ومن هنا شرع المعري يدخل الشعراء الجنة ببعض أبيات قالوها، على الرغم من أن حياتهم امتلأت بالشر كالحطيئة ...وكذا فعل مع بعض الأدباء والنحويين... هكذا كان المعري يخترق المألوف ويتجاوز حدود العناصر الجوهرية للواقع الحقيقي ...ومن ثم فإن الصور المشهدية البراقة والممتلئة بالحيوية والألوان والحركة تر□د على سجوف الظلام التي عانى منها المعري، فجعل الشعراء العميان مبصرين في جنته .

ولعل هذا كله يؤكد حضور عاهة العمى لديه؛ إذ كان يتحرك في عالم غيبي ولكنه مشخَّص كما لو أنه حاضر ...وهو عالم مشخص مركب تركيباً مثيراً أنتجه خيال مبدع خَلاَّق ... وبهذا كله يرد على حالته الاغترابية في الحياة الدنيا، بمثل ما أثبت في جنته مدى المعارف التي تمتّع بها[1]...

التناسخ في اللزوميات:

الموت والحياة:

افترض المعري عدداً من الافتراضات حول ماهية الموت، إذ رأى أنه نوم طويل، وفي الوقت نفسه ماثله بالنوم الإنساني مع الإبانة عن الفرق، فالنوم موت قصير وسينقضي على عكس الموت.

قال:

وَالمَوتُ نَومٌ طَويلٌ مالَه أَمَدٌ وَالنَومُ مَوتٌ قَصيرٌ فَهو مُنجابُ

وقد أراد بقوله هذا تعميق الغياب والتلاشي بالموت، مقابل الانكشاف والبعث في النوم المؤقت، وقد تكون مقاربته تلك من

قبيل أنهما سبيل للراحة، وأحسب أنه متأثر بالثقافة الإسلامية في هذه المقاربة.

إذ نجد الْقُرْطُبِيّ فِي" الْمُفْهِم "يقول " :النَّوْم وَالْمَوْت يَجْمَعهُمَا اِنْقِطَاع تَعَلُّق الرُّوح بِالْبَدَنِ " وَذَلِكَ قَدْ يَكُون ظاهرا وَهُوَ النَّوْم وَلِذَا قِيلَ النَّوْم أَخُو الْمَوْت، وَبَاطِنًا وَهُوَ الْمَوْت، فَإِطْلَاق الْمَوْت عَلَى النَّوْم يَكُون مجازا لاشتراكهما فِي اِنْقِطَاع تَعَلُّق الرُّوح بِالْبَدَنِ" [2]

([1]) حسين جمعه، الاغتراب في حياة المعري وأدبه، صـ ٦٧، مرجع سابق.

(٢) **أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (٥٧٨ –٦٥٦ هـ)**، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ج٢/٥٧٤، حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميستو –أحمد محمد السيد –يوسف علي بديوي –محمود إبراهيم بزال، الناشر: (دار ابن كثير، دمشق –بيروت)، (دار الكلم الطيب، دمشق –بيروت)، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ –١٩٩٦ م.

ويلفت المعري من وجهة أخرى إلى عجب الإنسان بالحياة، وما يحرزه من فضل، ويعد ذلك منه ضرباً من العبث، إذ ما القيمة التي سيجنيها من فضله لحظة مطالبة الموت به؟.

فهو يحل بالبشر على مرأى منا، وقد يصيب أقرب الناس إلينا كالآباء مثلاً، وفي النهاية لا بد أن يطالنا؛ وما ذلك إلا لأن طبيعته تشبه الداء المعدي الذي ينتقل من إنسان لآخر.

وفي هذا قال المعري:

لا يُعْجَبَنَّ الفَتى بِفَضلٍ فَإِنَّهُ مُقتَضى بِوَعدِ

والِدُهُ خَصَّهُ بِعَدوى مِن مَوتِهِ وَالحِمامُ يُعدي

ولكن من المعروف أن ال والد هو أقرب إنسان لابنه فكيف يخصه بالموت؟ قد يكون في ذلك إشارة إلى فضل الموت، ويخص الأب ولده به لأنه يحبه، وإما أن يكون مؤشراً على حتمية الفناء، أو دليلاً على خطأ الآباء في إيجاد الأبناء بالإنجاب مع علمهم أن المصير هو الفناء.

وعد المعري للموت بأنه داء نجد له جذو ا رً في التراث الإسلامي، والمعروف أن الموت في الحقيقة ليس داءً، وإنما هو عدم وفناء، وقد يكون اعتباره بأنه داء من قبيل المبالغة، فهو أشد من المرض؛ لأن المرض داء يُضْعِفُ والموت يُعْدِمُ، أو قد يقصد بالداء هنا المرض الذي عند الموت وف ا رغ الأجل لأنه لا ينفع فيه الدواء.

ويرى المعري من زاوية أخرى أنه حظ وسعادة للإنسان، أما الحياة فهي لا تجلب إلا التعاسة والشقاء له؛ وذلك لأنها تزيده من ذنوبه التي تسجل في صحائفه طالما هو حي، وفي هذا قال:

المَوتُ حَظٌّ لِمَن تَأَمَّلَه وَلَيسَ في العَيشِ أَن تُؤَمِّلَ حَظ

لا سِيَّما لِلَّذي يُخَط عَلَيهِ ال وِزرُ إِن قالَ أَو رَنا وَلَحَظ

وكأني بالمعري يرضى بالحياة التي يخلو المرء فيها من الذنوب، وهذا أمر مستحيل، ونظرة مثالية لن نجد لها تحققاً في الواقع، لذلك أرى الموت حظاً، وهذه الرؤية دليل على اعتقاده بالجبرية لا بالاختيار وهذا ما دفعه للإيمان بالحظ. وتبعاً لاعتقاده بالجبرية، سنجده يعده فرضًا، إذ يقول:

تَبارَكتَ إِنَّ المَوتَ فَرضٌ عَلى الفَتى وَلَو أَنَّهُ بَعضُ النُجومِ الَّتي تَسري

وَهَوَّنَ ما نَلقى مِنَ البُؤسِ أَنَّنا بَنو سَفَرٍ أَو عابِرونَ على جِسرِ

وفي وجهة أخرى يجعله غاية قريبة من نفسه، ومن نفوس البشرية جمعاء إذ يقول:

وَأَعلَمُ أَنَّ غايَتي المَنايا فَصَب ا رً تِلكَ غايَة كُلِّ قَومِ

ولكن لماذا كان الموت غاية؟

يجيبنا المعري فيقول:

وَسامَتني إِهانَتَها اللَيالي وَمَن لي أَن تُخَلّيني وَسَومي

وَأَيّامُ الحَياةِ ظِلالُ عِترٍ وَمَن لي أَن يَكو ن ظِلالَ دَومِ

أَعومُ اللُجَّ وَالحيتانُ حَولي وَما أَنا مُحسِنٌ في ذاكَ عَومي

لَعَلَّ العَيشَ تَسهيدٌ وَنَصبٌ وراحتي الحِمامُ أَتى بِنَومِ

إذًا لقد حمله الزمن الإهانة وكلفه بها، وأما الحياة فهي كظلال وهمية لنبات قصير، وبما أن الظل مؤقت، كان لا بد له من أن يتساءل عن وجود ظل دائم فيها، وقد كان حاله وهو يستغرق في أمور الحياة، ويحاول التخلص من شرورها وإهانتها، يماثل من يسقط في لجّ بحر، فهو يعوم ليتخلص

منه، وبما أنه لا يحسن العوم، يوشك أن يهلك، إن لم يتداركه من يستنقذه، والحياة تُشَبَّهُ بالبحر وأهلها بالراكبين في السفينة.

ولذلك قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه" :يا هادي الطريق إنما الفَجْر أَو البحر يقول ان انتظرت حتى يضيء لك الفجرُ أَبْصَرْتَ قصدك وإن خَبَطت الظلماء وركبت العَشْواء هجما بك على المكروه [١]، [٢].

البعث:

لم يظهر المعري في أشعاره موقفا واضحا لعقيدته في البعث، فنجده في موضع غير مطمئن إلى البعث حيث يقول:

وظاهر أمرنا عيش وموت ويدأب ناسك لرجاء بعث. [٣]

كما يبدي حيرته عن أحوال الروح بعد الموت ويقول:

أرواحنا معنا وليس لنا بها علم فكيف إذا حوتنا الأقبر

---

(١) **أبو أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله الخرساني المعروف بابن زنجويه (٢٥١هـ)**، الأموال لابن زنجويه، صـ٣٠١

تحقيق الدكتور: شاكر ذيب فياض الأستاذ المساعد –بجامعة الملك سعود، الناشر: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ –١٩٨٦م.

(٢) **هدى محمد قزع**، التجربة الشعرية في لزوميات أبي العلاء المعري الموت نموذجًا، ص١٩٠١، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلّد ٤٣، ملحق ٤.

(٣) أحمد بن عبد الله بن سليمان القضاعي التنوخي المعري (٣٦٣ –٤٤٩ هـ)، ديوان أبي العلاء المعري، ج١/١٧٤، المصدر: الشاملة الذهبية.

ويتحدث المعري عن اختلاف الناس في البعث ويراه أمراً شديد لا غموض وهو يضرب مثلا في نفي البعث والنشور أمر اللؤلؤ حيث يستحيل رجوعه إلى الصدف، فكذلك البعث لكنه يري أن الله قادر على ذلك مع أن العقل عاجز عن إدراكه.

أما القيامة فالتنازع شائع فيها وما لخيبها إصحار

قالت معاشر ما للؤلؤ عائم يوما إلى ظلم المحار محار

وبدائع الله القدير كثيرة فيخور فيها لبنا ويحار

وفي موضع آخر يتمنى أن تظفر نفسه بالسعادة بعد البعث مع أن بين نفسه وبينه عهدا طويلا في البلى:

بيني وبين البعث طول البلي ومن لهذي النفس أن تظفره

ثم يعود المعري فيؤكد أن الله يبعث الأرواح بقدرته:

والله ينشر أرواحا بقدرته ويبعث الغيث في أرواحه النشر

ويرى أن مرآة النجوم (العقل) ثبت الموت ولكنها لا تنبئ بالقيامة:

خد المرآة واستخبر نجوما تمر بمطعم الأري المشور

تدل على الحمام بلا ارتياب ولكن لا تدل على النشور

ثم يقول المعري: يقولون إن الميت بعد المكوث الطويل في القبر سيبعث شابا معافى ويسرح ويمرح في جنات الخلد فما أجمل ذلك لو صح فشكه الساخر هنا لا يخفى بعد أن أنكر البعث في البيتين السابقين. [١]

المبحث الثالث: المدرسة الفكرية التي ينتمي إليها أبو العلاء المعري ونقدها وفق الرؤية التربوية الإسلامية

الشك عند أبي العلاء المعري

إنَّ آراء أبي العلاء في الحياة والإنسان هي رؤىً وأخيلةُ شاعرٍ تعبِّر عن وجدانه، وحالات نفسيته المتغيّرة القلقة، والتي قد تبدو في أحيانٍ كثيرة متناقضة، أو على الأَقل حائرة بين اليقين والشّك [٢]

ما من باحث وقف عند صفات أبي العلاء وحياته وأدبه إلا ركز على جانب الحياة الحزينة عنده؛ وطفق يعلل حالة اليأس والتشاؤم والحيرة تجاه ما كان يعاني منه على الصعيد الاجتماعي والفكري والسياسي ...وما نتج عن ذلك من فلسفة تأرجحت بين الشك واليقين في عقيدته؛ وبين رفض المجتمع وقبوله، وبين ما عانى منه من اضطراب وقلق ما يعني أن الانكفاء على الذات إنما هو اتقاء للوجود الخارجي غير السوي ...أي إنه عزف عن

---

(١) **على كنجيان خنارى**، مصادر ثقافة أبى العلاء المعرى، صـ٢٢٠، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط١/٢٠٠١م.

(٢) **حامد صادق قنيبي**، قلق الحياة في أدب أبي العلاء المعري، صـ٣٧، جامعة الإسراء الخاصة، نسخة إلكترونية، د ن.

مخالطة الناس ورؤيتهم حتى يظفر بمعرفة أحوالهم وأخبارهم وأخبار الأمم والأقوام الذين سبقوهم؛ فهو ينقطع عنهم من جهة ويتصل بهم
من جهة أخرى... [1].

فالمعري يستشعر قوة خاصة، ما جعله يتجاوز عقدة العمى التي سقط فيها غير ما شاعر أصيب بفقد البصر، اعتماداً على العقل الذي جعله دليلاً وهادياً، وسبيلاً للتفكُّر؛ وإن أوصله إلى الحيرة والشك في بعض الأحيان كما يعترف بقوله [2].

سألت عقلي فلم يخبر وقلت له سلِ الرجال، فما أفتوا ولا عرفوا
قالوا، فمالوا، فلما أن حدوتهم إلى القياس، أبانوا العجز واعترفوا

العقل في مواجهة النقل:

يطرح المعري قضية الألوهية بشيء من الإنكار تارة وتارة أخرى بشكل إيماني عميق، فالشك يبدأ لديه في مواجهة ما تناقله الفقهاء والمفسرون ولذلك يقول في اللزوميات:

قلتم لنا خالقٌ حكيم قلنا صدقتم كذا نقولُ
زعمتموه بلا مكانٍ ولا زمانٍ ألا فقولوا
هذا كلام له خبيءٌ معناه ليست لنا عقولُ

ويقول:

أما الإله فأمرٌ لست مدركه فاحذر لجيلك فوق الأرض إسخاطا

ويتعجب المعري لماذا لا يتألم الله لعذاب الناس:

لوانى كلب لاعترتني حمية لجروي أن يلقى كما يلقى الإنس

أو قوله:

رأيت سجايا الناس فيها تظالم ولا ريب في عدل الذي خلق الظلما

وأن هنالك تناقضا في الأحكام فيخاطب الله قائلا:

أنهيتَ عن قتل النفوس تعمدا وبعثت أنت لقبضها ملكين؟
وزعمت أن لنا معادا ثانيا ما كان أغناها عن الحالين

ويخاطب الله متسائلا:

إن كان لا يحظى برزقك عاقل وترزق مجنونا وترزق أحمقا

---

(١) **حسين جمعة**، الاغتراب في حياة المعري وأدبه، صـ ٣٢، مرجع سابق.

(٢) **ابن العديم**، الإنصاف والتحري، صـ١٩، مرجع سابق.

فلا ذنب يارب السماء على امرئ رأى من ما يشتهي فتزندقا

لكن الشك لديه يجعله مترددا بين الإيمان والكفر ولذا نفاجأ عندما نراه يردد:

سأعبد الله لا أرجو مثوبته لكن تعبد إعظام وإجلال

وعندما ينظر المعري في بعض أحكام الفقه يجد أن هنالك أحكاما لا يقبلها العقل مثل حكم دية اليد إذا قطعت بخمسمائة دينار ذهب وإذا سرق أحد من الناس ربع دينار تقطع يده فيعترض قائلا:

تناقضٌ ما لنا إلا السكوت له وإن نعوذ بمولانا من النار

يد بخمس مئين عسجد فُديت ما بالها قُطعت في ربع دينار

ولأنه يعيش في مرحلة الشك فإنه في شوق إلى اليقين بيد أنه هيهات:

أما اليقين فلا يقين وإنما أقصى اجتهادي أن أظن وأحدسا

أو قوله:

وقد عدم التيقن في زمان حصلنا من حجاه على التظني

بل إن المعري عندما يفكر بعقله ويصطدم مع الشافعي أو مالك فإنه لا يأبه بذلك ويرى أن من حقه أن يجتهد طالما هو قادر على التفكير

وينفر عقلي مغضبا إن تركته سدى وأتبعت الشافعي ومالكا

ويفاجئنا المعري بأن العقل ينكر الأديان السابقة:

هفت الحنيفة والنصارى ما اهتدت ويهود حارت والمجوس مضللهْ

اثنان أهل الأرض: ذو عقل بلا دين وآخر دينٍ لا عقل لهْ

وينكر أن يكون آدم واحدا

وما آدم في مذهب العقل واحد ولكنه عند القياس أو آدم

ويشكك المعري في تدين الناس من حوله ويرى أنه تدين متوارث

وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوّده أبوه

وما دام الفتى بحجى ولكن يعلمه التدين أقربوه [1]

---

(١) **د. محمد أبو الفضل بدران**، الشك عند أبى العلاء المعري، صـ١٩، جامعة الإمارات العربية المتحدة.

الخاتمة

لقد اختلف الناس في عقيدة أبي العلاء المعري، "منهم من أمسكوا عن الجزم باتهامه، تحرجا، أو أشكل عليهم أمره لكثرة ما قال في تمجيد الله، تعالى، وما ألف من مصنفات في المواعظ، وما شاع وذاع من ورعه وتقواه وزهده، فاكتفوا بنقل أقوال من جرّحوه، ومعها أقوال من شهدوا له بصدق الإيمان وقوة اليقين.

اتُّهم المعري بالزندقة والإلحاد من بعض معاصريه، ولا شك أنه كان يناقش في مجالسه قضايا الفلسفة ويشرح للطلاب أشعاره ويفسر لهم ما صعب منها. وربما قاده الشرح إلى الحديث عن مختلف الآراء الفلسفية التي لا يرتضيها عامة الناس. يضاف إلى هذا تبتله وتركه الزواج وامتناعه عن اللحم وما أشبه ذلك، وفيه ما فيه من مجانبة لسنن الدين ولحوق بفلسفات برهمية هندية. وقد استند متهموه إلى ما في رسالة الغفران من أخبار الزنادقة وأشعارهم. أما أشعاره فيبين في بعضها الشك والانكار.

ولكنه وجد من يدافع عنه نافياً هذه التهمة. ومن هؤلاء القفطي وابن النديم، وسمى الأخير كتابه: «كتاب الإنصاف والتحري في دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري»؛ وقال في مقدمته متحدثاً عن حساده ومنتقديه: «رموه بالإلحاد والتعطيل، والعدول عن سواء السبيل، فمنهم من وضع على لسانه أقوال ملحدة ومنهم من حمل كلامه على غير المعنى الذي قصده فجعلوا محاسنه عيوباً وحسناته ذنوباً وعقله حمقاً وزهده فسقاً، ورشقوه بأليم السهام وأخرجوه عن الدين والإسلام».

ومن أحسن الشهادات في حقه شهادة الإمام الذهبي المتوفي سنة ٧٤٧هـ / ١٣٤٦م، حيث قال: «وفي الجملة فكان من أهل الفضل الوافر والأدب الباهر والمعرفة بالنسب وأيام العرب. وله في التوحيد وإثبات النبوة وما يحض على الزهد وإحياء طرق الفتوة والمروءة، شعر كثير والمشكل منه فله . على زعمه . تفسير».

وقال الحافظ الذهبي، وهو من كبار نقاد الرجال، في ترجمة أبي العلاء: "...وظهر لي من حال هذا المخذول أنه متحير لم يجزم بنحلة...

وقال في ختام ترجمته: "...وما على الرجل أنسُ زهّاد المؤمنين، والله أعلم بما خُتم له."

وكان أبو العلاء نفسه كتب رداً على متهميه بالإلحاد أسماه «زجر النابح» أوضح فيه طرائقه الشعرية في عرض آراء الفرق المختلفة، ومقاصده الأصلية من أشعاره. وكشف في كتاب آخر أسماه «الفصول والغايات» عن إيمانه بعذاب القبر والبعث والنشور، وبكل ما له علاقة بعقيدة الأمة فيما يتصل بالغيب.

الأساس الذي يصدر عنه المعري إذا في النظر إلى شؤون الحياة والنفس والكون والمجتمع يتألف من دعامتين مندمجتين متعاونتين:

السماحة بكل ما تقتضيه من رفق ومحبة وعدالة أريحية وما تفضي عليه من حب وتعاطف ونشاط وبذل ثم العقلانية –إلا أن غلوه فيها أوقعه في مزالق فكرية غير مقبولة وفق الرؤية التربوية الإسلامية – بكل ما

تقتضيه هذه العقلانية من هدوء وموضوعية وما بنجم عنها من تنظيم وتركيز وتوجيه للحياة إلا أن كل الأخطاء الفكرية والعقدية التي وقع فيها كانت بسبب اعتماده على العقل أكثر من استناده لمصادر التشريع الإسلامي فمدرسته الفكرية بناء على ذلك هي مدرسة عقلية بحتة تقدم العقل على النقل، والرأي اعقلي على النص الصريح في غالب ما احتوته كتاباته.

مراجع البحث

١- **عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم (٦٦٠هـ)**، بغية الطلب في تاريخ حلب، المحقق: د. سهيل زكار، الناشر: دار الفكر، د ت.

٢- **أحمد تيمور باشا**، أبو العلاء المعري، نسبة وأخباره، وشعره، ومعتقده،، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة، ١٣٥٩هـ-١٩٤٠م.

٣- **خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (١٣٩٦هـ)**، الأعلام، الناشر: دار العلم للملايين، ط٥/٢٠٠٢م).

٤- معجم الشعراء العرب، تم جمعه من موقع الموسوعة الشعرية، ، بدون ناشر.

٥- "تجديد ذكرى أبي العلاء" لطه حسين .

٦- **عبد العزيز الميمني الراجكوتي الأثري الهندي**، أبو العلاء وما إليه، منشورات محمد على بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، دار الكتب العلمية-بيروت-ط١/١٣٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٧- **عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم (٦٦٠ هـ)**، الإنصاف والتحري في دفع الظلم والتجري، عن أبي العلاء المعري،، المصدر: الشاملة الذهبية، د ت.

٨- **محمد راغب الطباخ الحلبي (١٣٧٠ هـ)**، إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، ، تحقيق: محمد كمال، الناشر: دار القلم العربي – حلب، الطبعة الثانية: ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.

٩- كمال اليازجي، أبو العلاء ولزومياته، دار الجيل، بيروت-لبنان، ١٩٦٤م.

١٠- ١ **شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (٦٢٦ هـ)**، معجم البلدان، الناشر: دار الفكر – بيروت.

١١- تعريف القدماء "،، عن نكت الهميان للصفدي.

١٢- **إيهاب عبد الحميد عبد الصادق سلامة**، شرحا أبي العلاء والخطيب التبريزي على ديوان أبي تمام دراسة نحوية صرفية، ، الناشر: رسالة ماجستير -كلية دار العلوم -جامعة القاهرة، بإشراف: د محمد جمال صقر، عام النشر: ٢٠١٢ م.

١٣- **أحمد يحيى علي محمد**، المصطلحات البلاغية في شرح أبي العلاء لشعر المتنبي، أطروحة علمية قدمت لمجلس كلية الآداب في جامعة الموصل، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه، فلسفة في اللغة العربية، ٢٠١٥م.

١٤- **أبو العلاء ودفاع ابن النديم عنه**، صـ ١٢١، دار سعد مصر للطباعة والنشر، ١٩٤٥م.

١٥- **الأستاذ الدكتور حسين جمعة**، الاغتراب في حياة المعري وأدبه، مجلة جامعة دمشق–المجلد ٢٧- العدد الأول والثاني ٢٠١١م.

١٦- **(١) هنري لا وست**، اختلاف الآراء في فلسفة أبي العلاء، المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، دار صادر–بيروت، ١٩٥٥م.

١٧- **عبد الكريم الخطيب**، رهين المحبسين، أبو العلاء المعري بين الإيمان والإلحاد، صـ دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، ط١/١٤٠٠هـ–١٩٨٠م.

١٨- **صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (٧٦٤هـ)**، الوافي بالوفيات، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، عام النشر:١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م).

١٩- **د أحمد مختار عبد الحميد عمر (١٤٢٤هـ)**، معجم اللغة العربية المعاصرة، بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ -٢٠٠٨ م، **إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار**، المعجم الوسيط، ج٢/٧٥٦، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر: دار الدعوة.

٢٠- **سارة محمد عبد الله المعصوب القحطاني**، دور ممارسة الألعاب في خفض القلق لذوي الإعاقات الجسدية الحركية بمؤسسة رعاية المشلولين بالطائف، رسالة ماجستير بكلية التربية بمكة المكرمة، ١٤٣٠هـ.

٢١- عبد الرحمن، عائشة: جديد في رسالة الغفران

٢٢- **رمضان محمود كريم البالاني**، شعر المعري من منظور القراءة والتأويل، أطروحة رسالة علمية مقدمة إلى مجلس كلية التربية جامعة بغداد.

٢٣- **طه حسين**، ذكرى أبي العلاء، عنى بنشره وتصحيحه: توفيق الرافعي، مكتبة الهلال بالفجاله، مصر، ط٢/١٩٢٢م.

٢٤- **د. محمد أبو الفضل بدران**، الشك عند أبى العلاء المعري، ١جامعة الإمارات العربية المتحدة، د ت.

٢٥- **إيهاب عبد الحميد عبد الصادق سلامة**، شرحا أبي العلاء والخطيب التبريزي على ديوان أبي تمام دراسة نحوية صرفية، رسالة ماجستير -كلية دار العلوم -جامعة القاهرة، بإشراف: د محمد جمال صقر، ٢٠١٢ م

٢٦- **هاني محمد عبد الرازق القزاز**، المسائل النحوية والصرفية في شرح أبي العلاء المعري على ديوان ابن أبي حصينة، إشراف: أ. د. إبراهيم حامد الإسناوي -أ. د. مصطفى خليل خاطر، المصدر: الشاملة الذهبية

٢٧- **أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان، أبو العلاء المعري، التنوخي (٤٤٩ هـ)**، رسالة الغفرانتحقيق: علي حسن فاعور، دار النشر: دار الكتب العلمية -بيروت / لبنان - ١٤٢٢ هـ -٢٠٠١ م.

٢٨- **أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (٥٧٨ -٦٥٦ هـ)**، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميستو -أحمد محمد السيد - يوسف علي بديوي -محمود إبراهيم بزال، الناشر: (دار ابن كثير، دمشق -بيروت)، (دار الكلم الطيب، دمشق -بيروت)، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ -١٩٩٦ م.

٢٩- **أبو أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله الخرساني المعروف بابن زنجويه (٢٥١هـ)**، الأموال لابن زنجويه

٣٠- تحقيق الدكتور: شاكر ذيب فياض الأستاذ المساعد -بجامعة الملك سعود، الناشر: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ -١٩٨٦م.

٣١- **هدى محمد قزع**، التجربة الشعرية في لزوميات أبي العلاء المعري الموت نموذجًا، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلّد ٤٣ ملحق ٤.

٣٢- **على كنجيان خنارى**، مصادر ثقافة أبى العلاء المعرى، ، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط١/٢٠٠١م.

٣٣- **حامد صادق قنيبي**، قلق الحياة في أدب أبي العلاء المعري، جـامعة الإسراء الخاصة، نسخة إلكترونية، د ن.